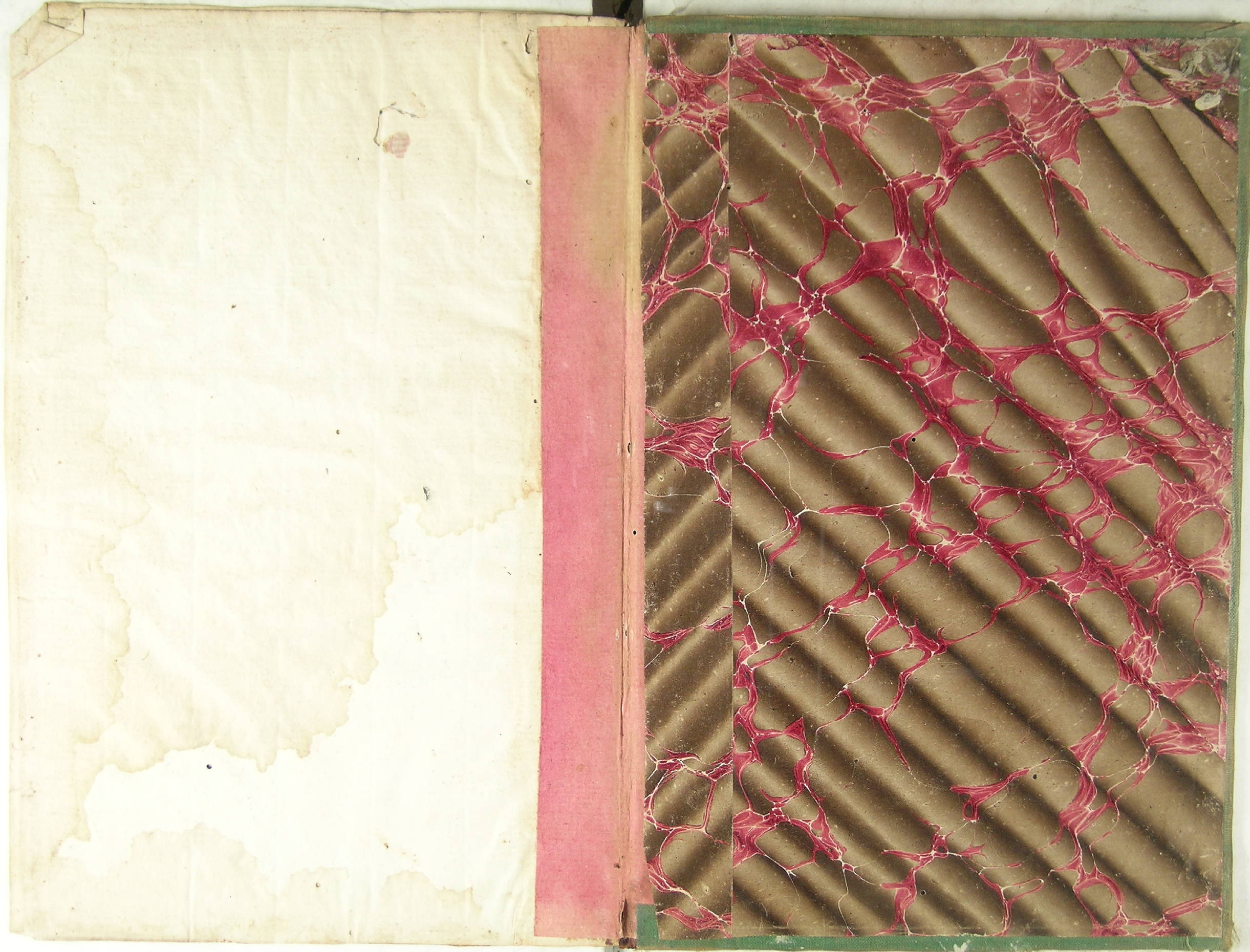




عمر الهاشمي ... [illegible]

2913

هذا الكتاب من وقف الشيخ مصطفى
غفر الله له ولوالديه واصطفى

يا من يريد الاستفادة من هذا الكتاب
اقرأ لواقفه كل اسبوع فاتحة الكتاب

[illegible]



سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد
على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد
والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من
العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى
جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط
فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه
بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله
قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم
يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا
بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ
قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف
المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق
اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان
الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما
لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد

او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب
او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم
كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما
جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبني كبرت
كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك
وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ
وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل
على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على
اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل
صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ
كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على
توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القران
اسفا للتاسف عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان
بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا
جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها و
لاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به
وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه
والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد

ماعليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه ام
حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حيوتهم مدة مديدة
كانوا من اياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس
والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين
من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر
الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي
فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت • وليس بها الا
الرقيم مجاورا • وصيدهم والقوم في الكهف همد • او لوح رصاصي او حجري
رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم
اخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف
فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله
يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط
النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم و
ترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة
فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك
حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك
فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان لي فضل و
اصابت الناس شدة فجائتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله
ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال
اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت
بها فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في

في الرخاء وتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع
حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما
واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت
فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين
فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما
الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا و
قد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من
اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف
فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن
من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا
كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا
على اذانهم اي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم
فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف
سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم
ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا
اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا
امدا اضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا
حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة

وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه
كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق با
بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبى وصبية امنوا بربهم وزدناهم هدى
بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل و
المال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين
يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم
هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو اخبار
في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان
ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من
الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون
الا الله عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله
فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز
ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله
وان يكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين
اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع
عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون
وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيص فان قيا

قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا
طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان
الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت
التاء في الزاء وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ
تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال
يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اى وهم في متسع من الكهف
يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب
المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس
اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي
يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل
عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم
ذلك من ايات الله اى شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك او اخبارك
قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته من يهد الله
بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او
التنبيه على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله للتأمل فيها والاستبصار ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له
وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة
تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا
تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء

والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب
احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب و
يؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد
الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم
الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية
والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه
غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن
عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا
جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر
والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم اية
بعثناهم اية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسئل بعضهم بعضا فيتعرفوا
حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به
امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
او يوم بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك
احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم
وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا
ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى

الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر و
روح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف
وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود راى المتوكلين والمدينة طرسوس
فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في
التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور
انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر
في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من
العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا
ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من
يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب في امكانها
فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن
التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس
ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا
اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول
تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول تبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين

انهما تبعثان معا وامر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه
الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال
تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين
في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في
انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق و
اخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى
الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا
اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك
واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا
ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم
بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران و
كان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه
واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين

بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون
باخبار الرسول لهم عن جبرئيل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم
بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد
رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين
بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة
الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص
عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا
تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤل عنه و
تزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اي فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود
لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال
ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء

تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيئته قائلا
ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا
يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء
اعتراضها دونه لا يناسب النهى واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله
كما روى انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان
لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك
جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار
ولا طلاق ولا اعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الاية والخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك
على التدارك او اذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقل عسى ان
يهدينى ربى يدلنى لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على
انى نبى من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء
المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو
بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة
لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين
وقرأ حمزة والكسائى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد و
يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد

العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم
بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا
خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى
الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شىء
ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود
الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر
اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة
الصيغة له او لزيادة الباء كما فى قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند
الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت
الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من دونه من ولى متولى امورهم ولا يشرك فى حكمه فى قضائه
احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء
والجزم على نهى كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على اصحاب
الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على
انه وحى معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحى اليك
من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله
لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه
ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشى فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ
ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر فيكون اللام فيه على
تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم

ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك
ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين
وتعدو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها
ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في
دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي
له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى
خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله
في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته
اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسم
بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما
ذكروا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى
القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره
فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي يتقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما تقتضيه
الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال
العبد بفعله فانه وان كان بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة
التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من
نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب

وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه
اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل
او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ
واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله حسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف
تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى
عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا
على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف
لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة
به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة
احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من
الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو
هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ
واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او
موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن
اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر
بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله

وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد
ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها
بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما
مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين
حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل
الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد
كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا
بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا اكثره
فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك
مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو
جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة
التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول
يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن
ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت
لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا

منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده
انه تع انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل
مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا
ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله
لان منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه
من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه
فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ
لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله
والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر
بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي
ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء
الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على
انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها
وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على
نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله
لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا
فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا

والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد
فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو
جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع
حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير
بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء
تزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض
مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده
واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من
احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهر البطن تلهفا
وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين
كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي
خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت
الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن
مشركا لم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما
سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه
القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام
الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له
وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين

المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير
ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان
والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله
واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على
المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبه الحيوة الدنيا في زهرتها و
سرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب
على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه
وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف و
على هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين
موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا
حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء اخضر
وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من
الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين
بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات و
اعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من
الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا

عائدا وخير املا لان صاحبها ينال به في الآخرة ما كان يامل بها في الدنيا و
يوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء
منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند ربك و
يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول و
قرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال
باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم
صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون
حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد
كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل
للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان و
الشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم
التي هلكوا بها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة
هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا
مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه

الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع ١
لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على
المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال
المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال
والاعمال الصالحات خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان
من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب
وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد
منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم
ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق
السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد
بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اى اعوانا ردا
لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم

الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم الدين فانه لا ينبغي لي
ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قرأة من قرأ وما كنت على خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف
وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول
اى الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او
شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد
من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم
فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه
وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك
وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى
المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا
عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس
من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه
الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي او القران المبين و
يستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين
الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا
وقرأ الكوفيون قُبُلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ
بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقَبَلا وقُبُلا وقِبَلا وانتصابه على

على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد
ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به
ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو
ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا
به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكرها
ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على
قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان
يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا
تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول
على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة
رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه
موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى يعني
قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر
مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون
مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا

لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي
لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف
عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح
لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من
حيث انه يستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ
هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل
وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا
يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء
الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم
الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما
بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات
المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب
الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل
تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين
وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي
بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى

الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته
فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا
مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل
نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى
من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما
يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت
طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية
الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا
غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز
الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب
وقيل لم ينصب موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت
اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى
وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره
الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار
عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى

مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها
ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب
القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن
الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب
او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي
قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا اي تعجبا من تلك الحال وقيل
الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت
ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما فرجعا في الطريق
الذي جاآ فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن
ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي و
النبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال
من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد
المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون
اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد
راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تا

تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال
انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من
التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها
مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي
لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني و
تعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة
الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان
افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسئلني عن
شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك
منه ذكرا حتى ابتديك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسئلني بالنون الثقيلة
فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ
الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق
اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق
بالتشديد وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد
جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي
نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا تعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها و
قيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول

مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيه ولا ترهقني من
امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي
فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال
رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بالضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا
من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه
الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تردد و
استكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة
من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية و
الاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم
غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها
قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل
انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل
خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان
يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع
في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو
بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني
صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك

خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيا فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع
لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر
الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان
الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة
بصرة وقيل باجروان ارمنية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ
يضيفوهما من اضافه اذا انزله به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير
لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من
قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من
النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمد به وقيل مسحه بيده
فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ
الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في من النفي كانه لما راى الحرمان
ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من
تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه
الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله
فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب

فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف
على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق
على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك
ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او
خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى
الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر
قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب
مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع
الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الركنين وادعاهما
وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في
بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن
قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما

ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية
فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما
بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل
اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من
ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل
من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يؤمن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان
ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما و
بين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا فاسمه كاشح فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى
نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه
لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته

ما رأيته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه
متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير
ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع
فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر
الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق
اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان
من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان
ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه و
اختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود
سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين
والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من
التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه
سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من
حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين
او حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فر

آها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم
يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما سمع معاوية يقرأ حامية
فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء
وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان
لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان
يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي
بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره
بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال
اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة
وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك
فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد
مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء
الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا
على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي
يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء
الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما
للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول
لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان
كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا
ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه

اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع
الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك
اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كا
مره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس
فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما
تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سده
وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض
الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة و
الكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم
لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه
الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة
والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من
دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف و
قيل عربيان من اجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتع

للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا
يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا
نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال
ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من
الخراج فلا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى
بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتونى
زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار
على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ايتونى بكسر
التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى
امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى
اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير
وابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال
وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان
كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة
انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين

المتوجهين نحو مفعول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول
افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما
اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا
بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه
بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر
للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر
الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت
كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد
ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة
من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او
بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى نحو
بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون
دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية
قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج
وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد
او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في
غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا
يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد

يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب
الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة
والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم فحذف المفعول
الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب
الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب
فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من
العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز
وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم و
اخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل
او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة
على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت
اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم
ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها
ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب
ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان

الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود
قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط
للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره
لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد
كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع
المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا
متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد
غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما
يستمده الكاتب وقرئ مدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما
انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما
تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا
صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه
اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل
العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في
الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه يتلالا الى مكة حشو
ذلك النور يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا
الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه

السلام من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن
قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر و
حمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون
دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول
بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمت
ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على
الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على
الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى
ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا
واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه
مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه
حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس و
ثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف
وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه
فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس
شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في
الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي

الذی هو محل الشیب مبالغة وجعله ممیزا ایضاحا للمقصود واکتفی باللام
عن الاضافة للدلالة علی ان علم المخاطب بتعین المراد یغنی عن التقیید
ولم اکن بدعائک رب شقیا بل کلما دعوتک استجبت لی وهو توسل بما
سلف معه من الاستجابة وتنبیه علی ان المدعو له وان لم یکن معتادا فاجابته
معتادة وانه تعالی عوده بالاجابة واطمعه فیها ومن حق الکریم ان لا یخیب
من اطمعه وانی خفت الموالی یعنی بنی عمه وکانوا اشرار بنی اسرائیل فخاف
ان لا یحسنوا خلافته علی امته ویبدلوا علیهم دینهم من ورائی بعد موتی وعن
ابن کثیر بالمد والقصر بفتح الیاء وهو متعلق بمحذوف او بمعنی الولایة فی
الموالی ای خفت فعل الموالی من ورائی او الذین یلون الامر من
ورائی وقرئ خفت الموالی من ورائی ای قلوا وعجزوا من اقامة الدین
بعدی او خفوا ودرجوا قدامی فعلی هذا کان الظرف متعلقا بخفت وکانت
امراتی عاقرا لا تلد فهب لی من لدنک فان مثله لا یرجی الا من فضلک
وکمال قدرتک فانی وامراتی لا نصلح للولادة ولیا من صلبی یرثنی ویرث
من آل یعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والکسائی علی انهما جواب الدعاء
والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبیاء لا یورثون المال وقیل یرثنی
الحبورة فانه کان حبرا ویرث من آل یعقوب الملک وهو یعقوب بن
اسحاق وقیل کان یعقوب اخا زکریا او عمران بن ماثان من نسل سلیمان
وقرئ یرثنی وارث آل یعقوب علی الحال من احد الضمیرین واو یرث
بالتصغیر لصغره ووارث من آل یعقوب علی انه فاعل یرثنی وهذا یسمی
التجرید فی علم البیان لانه جرد عن المذکور اولا مع انه المراد واجعله رب رضیا
ترضاه قولا وعملا یا زکریا انا نبشرک بغلام اسمه یحیی جواب لندائه ووعد باجابة

باجابة دعائه وانما تولی تسمیته تشریفا له لم نجعل له من قبل سمیا لم نسم احدا
بیحیی قبله وهو شاهد بان التسمیة بالاسامی الغریبة تنویه للمسمی وقیل
سمیا شبیها کقوله تعالی هل تعلم له سمیا لان المتماثلین یتشارکان فی الاسم و
الاظهر انه اعجمی وان کان عربیا فمنقول عن فعل کیعیش ویعمر قیل سمی به
لانه حیی به رحم امه او لان دین الله حیی بدعوته قال رب انی یکون لی غلام
وکانت امراتی عاقرا وقد بلغت من الکبر عتیا جساوة وقحولا فی المفاصل
واصله عتوو کقعود فاستثقلوا توالی الضمتین والواوین فکسروا التاء
فانقلبت الواو الاولی یاء ثم قلبت الثانیة وادغمت وقرا حمزة والکسائی
وحفص عتیا بالکسر وانما استعجب الولد من شیخ فان وعجوز عاقر اعترافا
بان المؤثر فیه کمال قدرته وان الوسائط عند التحقیق ملغاة ولذلک
قال ای الله او الملک المبلغ للبشارة تصدیقا له کذلک الامر کذلک
ویجوز ان یکون الکاف منصوبة بقال فی قال ربک وذلک اشارة الی
مبهم یفسره هو علی هین ویؤید الاول قراءة من قرا وهو علی هین ای
الامر کما قلت او کما وعدت وهو علی ذلک یهون علی او کما وعدت وهو
علی هین لا احتاج فیما ارید ان افعله الی الاسباب ومفعول قال الثانی
محذوف وقد خلقتک من قبل ولم تک شیئا بل کنت معدوما صرفا
وفیه دلیل علی ان المعدوم لیس بشیء وقرا حمزة والکسائی وقد خلقناک
قال رب اجعل لی آیة علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنی به قال آیتک ان لا
تکلم الناس ثلث لیال سویا سوی الخلق ما بک من خرس ولا بکم وانما ذکر
اللیالی ههنا والایام فی آل عمران للدلالة علی انه استمر علیه المنع من کلام
الناس والتجرد للذکر والشکر ثلثة ایام ولیالیهن فخرج علی قومه من المحراب

من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاوحى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب
لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله
كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان تحتمل ان تكون مصدرية
وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد
واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة
احكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب
او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس
وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا
عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب
النار وهول القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت
اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل
الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف
لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني
فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي
دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان
انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت و
تعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب

شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها
الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا
تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون
للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك
قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا
في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة
ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا
على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي
غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما
تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف
قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت
ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه
التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين
ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف
على لنهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا
ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء
الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل
لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر

سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا
من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاءها
وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى
وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها
للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
والغصن وقيل وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم
عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها و
يطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل
هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت و
كنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأه
حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو
الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر
ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل
كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل
الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك
تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو
عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد
او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع

ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها
حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت
وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا
تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزته فجعل الله تعالى له رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك
لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن
يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر
النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع
من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين
فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب
وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت
ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن
على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني
نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في
صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة
واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة
المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع في قطع الطاعن
فاتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة

اباه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت
هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة
الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح
او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها
به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به
فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى
عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في
المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن
فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني
عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته
اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع
وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني
بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت
حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده
القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط
تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى
والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما
جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من
اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم

اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب
لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد
ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي
لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة و
قيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر
ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى
القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود
ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان
يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن
كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث و
قرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان
ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب
من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن
الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكائية
قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود
يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او
من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد الملائكة والانبياء
والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم

وابصارهم يوم يأتوننا اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا
صمّاً وعمياً فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر
بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور
على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى محل النصب لكن الظالمون اليوم
فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعاراً بانهم ظلموا انفسهم حيث
اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجّل على اغفالهم بانه ضلال بيّن
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيئ على اسائته والمحسن على قلة
احسانه اذ قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة
بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين
غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها
لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها
بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء
واذكر فى الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازماً للصدق او كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله تع
اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا
نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتى
ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كرره لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغنى عنك شيئا
فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبيّن ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج
وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى

تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلاً
عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام
العام وهو الخالق الرزاق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على ان
العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيّاً مميزاً سميعاً
بصيراً مقتدراً على النفع والضر ولكن ممكناً لاستنكف العقل القويم عن
عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة
والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه
الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظاً من
العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال يا ابت انى قد جاءنى من العلم
ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطاً سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم
ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة
عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
واستهجن ذلك وبيّن وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولى للنعم كلها ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع
للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك
عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت انى اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا فى اللعن والعذاب تليه
ويليك او ثابتا فى موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر
من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء
العاقبة وجعل اقتصاره على عصيان الشيطان من خباياه لارتقاء

همته في الربانية او لانه ملّاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته فنبه
عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد
بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنيّ واخّره و
قدم الخبر على المبتداء وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها
مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة
عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني و
اهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا
طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة
ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك
ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه
كان بي حفيا بليغا بالبر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة
بديني وادعوا ربي واعبده وحده عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع
السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس و
التنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو
غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق
ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حرّان
وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما
شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا نبيا
وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم
لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان

لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم
واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون
عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان
الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم
رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحية
اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان
تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك
لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع
لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا
من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة
لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان
صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب
لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم

وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو
سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب
به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط
بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني
شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين
انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من
ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم
عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي من ذرية من
حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن
نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية
اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان
اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق و
اجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان
خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة من شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ
يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا

اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر و
استحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي
الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا شرا كقوله • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة
وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا
يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا
ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه
تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من
الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى
الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده
بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم
بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم
لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها
لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء
المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • او على ان
معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا

وانما فايدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط
بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي
نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقي على
الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط و
قيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا
زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك
حكاية قول جبرئيل حين استبطاه رسول الله لما سئل عن قصة اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه
فابطاء عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى قال المشركون ودعه
ربه وقلاه ثم نزل لبيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع
نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما
نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل
بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو
ما نحن فيه من الاماكن والاحايين ولا ننتقل من مكان الى مكان اولا
ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا
لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله
لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول
الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا
بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا

تقرير من الله تعالى لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم
من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع
النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته
خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك
او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي
وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا
يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم
الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث
لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق
العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار
على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما
بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت أئذا ما مت لسوف اخرج حيا
من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه الانكار لان
المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج فان
ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا
يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف

مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان
المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد
التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على
الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما
لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة
يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى
سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا
حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم
حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم
الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع
او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من
الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة
وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم
على ان جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر الجيم ثم لننزعن
من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان
اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من

من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد به تمييز طوائفهم اعتاهم
فاعتاهم ونطرحهم فى النار على الترتيب او ندخل كلا طبقتها التى تليق بهم
وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه
اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته
زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا و
مرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية
وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع
على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة
واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى
او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤس
الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى
وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده
انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى
خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضى الله عنه انه سئل عنه فقال اذا دخل
اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان
على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان
وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجى الذين اتقوا فيساقون الى

الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك ونذر
الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى
الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ
مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين
خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة و
منزلا واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى
لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة فرد عليهم ذلك ايضا مع
التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم
مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم
وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد
منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ
نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة
وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه
محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج ليس باكرام وانما العيار على الفضل
والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان
امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملي لهم

ليزدادوا اثما وكقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا رأوا ما يوعدون
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير حتى
اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما
العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا
من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا
ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة
وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه
القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه
بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس
لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد
لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل
له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد و
يدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة
الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب
الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة
قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرأيت الذي
كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن الوائل كان لخباب
عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا

ولا حين تبعث قال واذا بعثت جئتنى فيكون لى ثمة مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء
على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة و
الكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد او لغة كالعرب والعرب اطلع الغيب
اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار
حتى ادعى ان يؤتاه فى الآخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا
او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين
الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب
عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما
يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين
انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها فان
نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه
ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعنى المال والولد ويأتينا يوم
القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا
وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده
كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون
ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم
عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون

ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اى ويكونون
عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم
او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها و
توحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره
قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف
نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله اقلى اللوم عاذل والعتابن
او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان
سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصى
بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة
وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة
فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر
الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه
لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم
الى الرحمن الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة
شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا
فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لا
يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب
لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان

يشفع العصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ
من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن من قولهم عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب
على تقدير المضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير
للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد
به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا
لما كان مقولا بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم على تكاد السموات وقرأ نافع
والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع
فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا
والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها
هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله
تعا بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا
للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام و
افضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها
دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر
على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه

مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا
يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم
بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو
مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به
في قوله ان كل من في السموات والارض اى ما منهم الا آتي الرحمن عبدا اى وهو
مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم
حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم
عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم
القيامة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه
ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها و
عن النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرئيل احببت فلانا فاحبه
فيحبه جبرئيل ثم ينادي جبرئيل في اهل السماء ان الله تع قد احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا
ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود
في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على
اصله لتضمن يسرناه بمعنى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين
الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اى شق
من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة
وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه

او تسمع لهم ركزا وقرئ تُسمِع من أسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب
هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيّب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد
من كذّب زكريا وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى **سورة طه**
مكية وهي مائة واربع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم
طه فخّمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخّم
الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء
الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عكّ فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه
بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله إن السفاهة طاها في خلائقكم لا
قدّس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون
وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في
تهجّده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ
الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا
يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية
الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او
الاكتفاء بشطري الكلمتين وعبّر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران لتشقى
خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأوّل بالسورة او القرآن والقران فيه
واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى ان جعلته نداء
واستيناف ان كان جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة محكية
والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما

عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق و
الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم
ولعله عدل اليه للاشعار وقيل ردّ وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة
عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به
الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز
ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان
الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف
او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما
انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية
ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا
نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل
مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض
والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض
تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق
الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدّم الارض لانها اقرب الى الحس
واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى
وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و
التقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في
الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته
ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة

علمه تع بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى اي وان تجهر بذكر الله تع ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس
لاعلام الله تع بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال
بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين
انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن
في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن
في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان
ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان
والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام
جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على
العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها و
الحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها
على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى
تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر
على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف
للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن
في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت
ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني

آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس
به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى
هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها
في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف
الايناس فانه كان متحققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى
الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب
منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اتى
النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه
ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسر الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه
وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله
فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام
الله فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام
تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل الكلام لبدنه وانتقل الى الحس
المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره
بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل
لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ
قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة
والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر و
الكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس
اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة و
قرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي واللام

تحمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما
يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة
التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة
التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره
وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء
او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري
وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام قال من نام
عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري
ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان
اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار
لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح
من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى
الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها
نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه عن ان ينصد عنها كقوله لا ارينك
ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة او خليت بحالها اختارها ولم يعرض عنها
وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه
واتبع هويه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى
فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها
من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير
لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل
اتوكاء عليها اعتمد عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع واهش

واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ اهش وكلاهما
من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو
زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل
ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على
شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها و
اذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من
السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على
خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان
تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير ان دلوا عند الاستقاء وتطول بطول
البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق
وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا
ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه
الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما
القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك
جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي
يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها تسرع وتبتلع الحجر والشجر
خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي
فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او
على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها

في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى
فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه
حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحيها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي
الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من
غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان
الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء
او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق
بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى
فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله
ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما
ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي
ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ و
كان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ
لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر و
الياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض
يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ
ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت

عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت
سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام و
لذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة
وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني
به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو
الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل
اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت
همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية
به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي
ولي تبيين كقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او
مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر
بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون
يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا
وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت
سؤلك يا موسى اي مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا
الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه
النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل
به لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه لان الوحي
بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في

قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل
لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل
البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر
كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت
بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة
او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر كبير فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها
مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه
حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق
مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم
القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يستحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان
يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا
راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على
الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام
وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك
على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع
او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من
يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فر

فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن
هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي
الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله
تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك
فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على
ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو
اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا
على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين
في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على
ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير
مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى
الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه
لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ
تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء
الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه
فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله
فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة
في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو
الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت

لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر
ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما و
المبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة و
اظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية
للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان
يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر
الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط
يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل
من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب
ويفرط من الافراط فى الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول
فيك ما لا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا اننى معكما
بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل
حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى اننى
حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل
ويقتلون ذكورا اولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل
على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان
يكون للتدريج فى الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام
السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات
الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة

ببينة فات بآية او لو جئتك بشئ مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام
الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان
العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير
النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الاوامر انجع وبالواقع
اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة
الحال فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى
بالنداء تاكيدا لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة و
لاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين
ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ من الانواع خلقه صورته وشكله
الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون
به فقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او للمضاف على شذوذ فيكون
المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما
اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية
البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى
القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم
عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وافحم عن الدخل عليه
فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من
السعادة والشقاوة قال علمها عند ربى اى انه غيب لا يعلمه الا الله تعالى وانما انا
عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به فى كتاب مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان
يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى

ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشئ في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله
دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص
المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون
الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا
يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او
منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به و
الباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا و
حصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض
لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة
الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على
كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته وعلى هذا
نظائره كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان
وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه
مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي
متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالا

بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول
الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب
اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك
الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب
على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها
صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة
هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما اوتي
غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله
من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا
لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا
على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم
يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه
في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم
وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى
سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى
في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم
عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق
ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر

الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب
فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه
فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم
به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد و
تميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه
فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال
بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه
او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير
لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم
تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان
لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو
ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام
هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء
عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار
مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد واهل طريقتكم
وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني
اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم

لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم
وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة
فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة
واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة
للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر
القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة
ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء
بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة
والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها
لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا
ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها
بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن
عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها
تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل
فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة
البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك
انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق والتكرير

الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل
والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم والق العويدة التى في يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه
الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه
بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة يحتمل
التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع على
الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته
انما صنعوا ان الذى زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة
وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر
سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر
لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير
الاول لتنكير المضاف كقول العجاج • يوم ترى النفوس ما اعدت • في سعى دنيا
طالما قد مدت • كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل
فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية
من آيات الله تعالى ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة
عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون
لكبر سنه او لروى الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى
او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى
انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اى لموسى واللام لتضمين
الفعل معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم و
اعلمكم به او لاستاذكم الذى علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم

ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع
ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها في حيز النصب على الحال
اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في
جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول
من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله تعالى آمنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب
في شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا
لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من
البينات المعجزات الواضحات والذى فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض
ما انت قاض ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به انما تقضى هذه الحيوة الدنيا
انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى فهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة كقولك صيم يوم
الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصى وما اكرهتنا عليه
من السحر في معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما
بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة
مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات
العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء
من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلث يحتمل ان يكون

من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر
بعبادى اى من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او
فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به المونث يقال
شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف يقال
يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به او وصف على فعل
كعصب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلى
حين ضمت جواب غرزا او معاجيا عا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منه
طريقا لا تخاف دركا حال من المامور اى آمنا من ان يدرككم العدو
او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى
او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا او حال
بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى
خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون
نفسه او مع جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده
القراءة به والباء للتعدية وقيل والباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وكادهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة
اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اى
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم
للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم في الدين وما هداهم وهو
تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بنى اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في
عهد النبى عليه السلام بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه ووا

نسخة لا تخشى م

وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى
المواعدة اليهم وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم
المن والسلوى يعنى في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته
وقرأ حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم و
وعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدى لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن
المستحق فيحل عليكم غضبى فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه
ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية
وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب
عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على
الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة
يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم و
ايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار
لانه اهم قال هم اولاء على اثرى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة
وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت
اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب م
رضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد
خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا
من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامرى باتخاذ العجل والدعاء
الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان
صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين و

قالوا قد اكلتنا العصي ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ
ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع
على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته والسامري
منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من
كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى
الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها نور وهدى افطال
عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم
غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي
بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده
اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا
السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وتثليثها
في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا
من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هي ما القاه البحر الى الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام
فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان
يأخذ مال الحربي فقذفناها في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها
روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعا

ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفرة ونسجر
فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي و
ابو بكر حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له
خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فنسيه موسى فذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع
اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ بالنصب وفيه ضعف
لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر
على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او
قول السامري كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر
تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا
امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون
اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني ان
تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا
مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين و
المحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان
اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر
رأسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام
حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم

ترقب قولی حین قلت اخلفنی فی قومی واصلح فان الاصلاح کان فی حفظ الدهماء
والمداراة بهم الی ان ترجع الیهم فتدارک الامر برایک قال فما خطبک یا سامری
ای ثم اقبل الیه وقال له منکرا ما خطبک ای ما طلبک له وما الذی حملک علیه وهو
مصدر خطب الشیء اذا طلبه قال بصرت بما لم یبصروا به وقرا حمزة والکسائی بالتاء
علی الخطاب ای علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذی
جاءک روحانی محض لا یمس اثره شیئا الا احیاه او رایت ما لم تروه وهو ان
جبرئیل جاءک علی فرس الحیاة قیل انما عرفه لان امه القته حین ولدته خوفا
من فرعون وکان جبرئیل یغذوه حتی یستقل فقبضت قبضة من اثر الرسول
من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض واطلق علی المقبوض کضرب الامیر
وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجمیع الکف والثانی الاخذ باطراف الاصابع
ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئیل ولعله لم یسمه لانه لم یعرف انه جبرئیل او
اراد ان ینبه علی الوقت وهو حین ارسل الیه لیذهب به الی الطور فنبذتها فی
الحلی المذابة او فی جوف العجل حتی حیی وکذلک سولت لی نفسی زینته وحسنته
الی قال فاذهب فان لک فی الحیوة عقوبة علی ما فعلت ان تقول لا مساس
خوفا من ان یمسک احد فیاخذک الحمی ومن مسک فتحامی الناس ویحاموک
وتکون طریدا وحیدا کالوحشی النافر وقرئ لا مساس کفجار وهو علم للمسة وان
لک موعدا فی الاخرة لن تخلفه لن یخلفک الله وینجزه لک فی الاخرة بعد ما عاقبک
فی الدنیا وقرا ابن کثیر والبصریان بکسر اللام ای لن تخلف الواعد ایاه وستاتیه
لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ویجوز ان یکون من
اخلفت الوعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون علی حکایة قول الله وانظر الی الهک
الذی ظلت علیه عاکفا ظللت علی عبادته مقیما فحذف اللام الاولی تخفیفا وقرئ بکسر

بکسر الظاء علی نقل حرکة اللام الیها لنحرقنه ای بالنار ویؤید قراءة لنحرقنه او بالمبرد
علی انه مبالغة فی حرق اذا برد بالمبرد ویعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرینه
رمادا او مبرودا وقرئ بضم السین فی الیم نسفا فلا یصادف منه شیء والمقصود
من ذلک زیادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنین به لمن له ادنی نظر انما الهکم
المستحق لعبادتکم الله الذی لا اله الا هو اذ لا احد یماثله او یدانیه فی کمال العلم و
القدرة وسع کل شیء علما وسع علمه کل ما یصح ان یعلم لا العجل الذی یصاغ ویحرق
وان کان حیا فی نفسه کان مثلا فی الغباوة وقرئ وسع فیکون انتصاب علما
علی المفعولیة لانه وان انتصب علی التمییز فی المشهورة لکنه فاعل فی المعنی فلما
عدی الفعل بالتضعیف الی مفعولین صار مفعولا کذلک مثل ذلک الاقتصاص
یعنی اقتصاص قصة موسی نقص علیک من انباء ما قد سبق من اخبار الامور
الماضیة والامم الدارجة تبصرة لک وزیادة فی علمک وتکثیرا لمعجزاتک وتنبیها
وتذکیرا للمستبصرین من امتک وقد آتیناک من لدنا ذکرا کتابا مشتملا علی
هذه الاقاصیص والاخبار حقیقا بالتفکر والاعتبار والتنکیر فیه للتعظیم و
قیل ذکرا جمیلا وصیتا عظیما بین الناس من اعرض عنه عن الذکر الذی هو
القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقیل عن الله تعالی فانه یحمل یوم القیمة
وزرا عقوبة ثقیلة فادحة علی کفره وذنوبه سماها وزرا تشبیها فی ثقلها علی المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذی یفدح الحامل وینقض ظهره او اثما عظیما خالدین
فیه فی الوزر او فی حمله والجمع فیه والتوحید فی اعرض للحمل علی المعنی واللفظ و
ساء لهم یوم القیمة حملا ای بئس لهم ففیه ضمیر مبهم تفسیره حملا والمخصوص بالذم
محذوف ای ساء حملا وزرهم واللام فی لهم للبیان کما فی هیت لک ولو جعل
ساء بمعنی احزن والضمیر الذی فیه للوزر اشکل امر اللام ونصب حملا ولم یفد مزید

معنى يوم ينفخ في الصور قرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او
للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره
لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك و
نحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك
لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى
اعدائهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب
السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم
يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت
واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم
استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم
تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم
طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا
منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل
ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر
مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله تعالى ما ترك على
ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلثها
احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار القياس ولذلك
ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى
استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت

وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي
داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها
الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من
الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل اي الا من
اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من
الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله
قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم
لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم
ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها
يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة
ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله
عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ
الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب
مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره
ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي

مثل ذلك الانزال ومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا
عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد
لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا
حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى
القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم
كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل و
مساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل
نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة
العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد
امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام
جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد
للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من
قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي
به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا على الامر اذ لو كان
ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في
بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها وأريها وعن النبي عليه السلام لو
وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل
عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى
العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما

عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله
في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات
فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من
السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا او لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما من ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء
اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه
قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية و
اقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها
والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع وتزول منها بذكر نقائضها ليطرق
سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب
من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع
دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها
فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو
الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق
على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل

عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او
عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا
اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم
للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتبيه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة
والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة
والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء او له
ولابليس ولما كان اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو
لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين
بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن
اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا وصف به
ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان
مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازدياده خائفا
على انتقاصه بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم
الكفرة ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل الكتاب امنوا الآيات وقيل هو الضريع
والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ
الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيامة
اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس

الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره
فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها
وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العذاب والعمى وكذلك نجزي
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن
بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب
النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى
ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات
والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله تعالى او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم
من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق
يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون
آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة
الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر
وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال
كل منهما بنفي العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت
حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه
من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر

وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر وأناء بالفتح
والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل
فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز
ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار
تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس
كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول
من النهار وبداية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار
النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق
بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ
الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر
عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به
وهو اصناف وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا
او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف
ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في
الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما
عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ولنختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة
بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة
خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر

واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن
نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى
روي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا
لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا
لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي
هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة
بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل و
اعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين
من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال او لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى
من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة
ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن
علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب
من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها و
قرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام
او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول
النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم متربص
منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط
السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوأى والسوء اي الشر
والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام
ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم

العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي وعنه عليه السلام من قرأ طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبيا عليهم الصلوة والسلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد من انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله هؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول

موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل

اي كما ارسل به الاولون صح

به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية
اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه
تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا
عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل
الكتاب من حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان
المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه ويثقون بقولهم او لان اخبار
الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم
جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك
عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مال هذا الرسول
ياكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع
التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل
او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا
يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله
لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني
المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك
حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد
انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلا

ؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما بعد ه
ادركوا اشد عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم
منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من اسراعهم
لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او
المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من
التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا
عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب
ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث
اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من تلك صح
السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت دعويهم فما زالوا يرددون
ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانوا يدعوا الويل ويقول يا ويل تعال
فهذا اوانك وكل من تلك ودعويهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا
مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار
وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار
وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد
فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال
لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او

من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام
المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل
اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اى
بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملة الجد على الباطل الذى من عداده اللهو
فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة
المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق
الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله • ساترك
منزلى لبنى تميم • والحق بالحجاز فاستريحا • ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على
الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل
مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية او
موصولة او موصوفة وله من فى السماوات والارض خلقا وملكا ومن عنده
يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف
على من فى السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من
الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن
عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جئ بالاستحسار الذى
هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو فى يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة
بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لالهة او متعلقة بالفعل على معنى

معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم ان
لم يصرح به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع
الممكنات والمراد تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم
شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه و
المراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا
يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام
غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينها من الاختلاف والتمانع فانها ان
توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان
الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ المقادير
عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته
وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسئلون لانهم
مملوكون متعبدون والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه الهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار
ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى او وجدوا
الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية
او وجدوا فى الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد
ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدل على فساده
نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما
لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معى وذكر
من قبلى من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد

والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال
الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امتي ومن قبلي الامم المتقدمة
واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة
على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد ونحوهما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه
وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وتوسط للتاكيد بين السبب
والمسبب فهم معرضون من التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص
فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم
وهو الكتب الثلثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون
وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد
لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته
تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام
عن الاضافة اختصارا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما
بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق
خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس

ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد
مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية
اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض
كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا
وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت
بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت
باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة
بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون
المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على
ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم
به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة
السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا
كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل
حيوان لقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده
لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء
لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء
مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل
لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا

سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل
على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم و
جعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت
المعلوم بمشيته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على
وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي تحس ببعضها ويبحث عن
بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل
المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل
واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت
فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله • فقل
للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا • والفاء لتعلق الشرط بما قبله
والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير
بالبلاء والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما
يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء
وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد

بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن
هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص
ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كأنه خلق منه لفرط
استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو
منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر
واستعجال الوعد روي انه نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي
نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها
والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد
وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين يحيط بهم النار من كل
جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز
ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون
بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر
او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء و
الضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار
او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او البغتة ولا هم ينظرون
يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون

وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني
جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا
كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء
وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو
الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا
يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب
فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون
رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء
وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه
ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء

والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا
ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع
الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد
القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه
كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم
وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع
نافع على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من اعطينا او من المؤاتاة فانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء و
اثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا
حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان و
ضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء في ظلماء الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه
من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على
انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب
او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا يعني القرآن
ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا
ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته لتدل على انه رشد مثله و
ان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد و
قيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا

انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة
الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق
بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة
لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف
بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى
العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين
منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد
ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة
فقالوا أبجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض
او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد
من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ
وحققه وتالله وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها
تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب
لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله
قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو
القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح
وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه و

وجعل الفأس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم
يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه
فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة
بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يعيبهم لعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى بصحة لان يتعلق به السمع وهو
ابلغ فى نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن
الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا
أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له
تسبب لمباشرته اياه او تقرير لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى
كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا بل
كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا
ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر
ولذلك وقف على فعله وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لابراهيم ثلث كذبات
تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا
عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا
ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم
انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل

الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم لقد
علمت ما هولاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها
جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله
تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا و
اللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا فى المضارة لما
عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام
لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا موزرا والقائل فيهم رجل من اكراد
فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كونى بردا وسلاما
ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته
مامورة مطاعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم
بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها
فقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال سل ربك قال حسبى من سؤالى
علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من
الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ
ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على
خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه ع
اذاها كما ترى فى السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا فى اضراره
فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على
الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه

ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام و
بركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى
هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم و
ليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعنى الاربعة جعلنا
صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى
صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله
قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل
وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها
وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا
آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغى علمه للانبياء ونجيناه
من القرية قرية سدوم التى كانت تعمل الخبائث يعنى اللواطة وصفها بصفة
اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا
قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه فى رحمتنا فى اهل رحمتنا او فى
جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا
الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه
واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه
مطاوع انتصر اى جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم

سوءٍ فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر
ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
في الزرع وقيل في كرم تدلّت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم
شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او
الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون
بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما
كان ثم يترادّان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة رحمه الله في
العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي رحمه الله بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا
ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي رحمه الله وجوب ضمان المتلف بالليل اذ
المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة
البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه
الصلوة والسلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد
لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولو
لا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله تعالى معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل
له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان
وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ
بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس
ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل

الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها و
سردها لكم متعلق بعلمنا او صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء
للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز
وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع
ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان
نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة
شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر
ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة
اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من
ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا
بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في
البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة
موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن
والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين
النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض و
هزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد
عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم

بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او
سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف
او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه و
آتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد منهم نوافل
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان
ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل
زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه
وثوابه والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة
الاخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم
عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل
ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه
اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر
عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا
او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه
في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا

ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا
فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطون الحوت
والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت
من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه
الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم
الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها
بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف
الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف
المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى
الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف
اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد
بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ
نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان
لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي
اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني
المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون
الى ابواب الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب
راجين الاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين
مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال

والتي احصنت فرجها من الحرام والحلال يعني مريم فنفخنا فيها اي في عيسى فيها اي
احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا
وحده او من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد
قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه
امتكم اي ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة
واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ
امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئا بالرفع على انهما خبران و
انا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا
لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بتقبيح فعلهم الى غيرهم
كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب
كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون
في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم
وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي حرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ حرم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة
ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا
ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية
المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا
يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه
او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع والى قيام الساعة

الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها
والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني
ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين و
اقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب
الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا
جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول
قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر
والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس و
اعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام لما تلا
الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل
الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مأولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال اهذا شيء
لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من
عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن
الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من
حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم

لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل
فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من
اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا
يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى
بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي
الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر
رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق
للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع
الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في
الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم
الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال
مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من
قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا
قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتاب طيا كطي
الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي و
حفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب
الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل

السِجِل كالدلو والسُجُل كالعُتُل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي
نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا
من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول
الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما
كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيد اي نعيد مثل الذي بدأناه واول
خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيدا
لنعيد او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين
ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه الصلوة والسلام من بعد
الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح
المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ
وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه
لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد
فالاول لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون
العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته
بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حرب لكم على سواء

مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة
او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان
النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او الحشر لكنه كائن لامحالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في
الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او
امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته
قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال
العذاب والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا
الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون
من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان
الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر
رسوله عليهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا
وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد
المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في
او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون
قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء

شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم و
يعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم و
يتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير
لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل
مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود
الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن
فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى
الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما
او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل
الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على
غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة
بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه
ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري
كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر
لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه على تقدير
فان انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في
الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي

اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه
او الاغذية التى يتكون منها المنى ثم من نطفة منى من النطف وهو الصب
ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهى فى الاصل
قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او
تامة او ساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا
وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من
قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر فى الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو
وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب
وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء
رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت
على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه فى الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم
كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور ومنكم
من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله ومنكم من يرد
الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود
كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر
ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من
الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت

اى ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة
ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر
من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض
بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى
به تتحقق الاشياء وانه يحيى الموتى والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل
شئ قدير لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على
قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة
آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث
من فى القبور بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل فى
الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير
على انه لا سند له من استدلال او وحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا
وثنى العطف وثنى كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به
وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال
على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه
كالغرض له له فى الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب
الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول
اى يقال له يوم القيمة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى
وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد
ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى

يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روى انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة
فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا و
كثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته
مصائب فتشأم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه الصلوة
والسلام ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله
بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا
خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه
ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه
ضالا يدعوا لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة
اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام
معلقة ليدعوا من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة
الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى
استضراره به او مستأنفة على ان يدعوا تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس
المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب
المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام
فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف
ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى

السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلي
غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به
المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور
في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك سماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه
ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا
نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله
يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان
الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق عنهم عن المبطل او الجزاء
فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من
طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره
او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ
الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار
الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتداء
خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له

كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره واباءه عن الطاعة ويجوز
ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به
على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حُق بالضم وحقا باضمار
فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح
بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اى فوجان
مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون
والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا و
نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان
الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم
حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود
اى يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب
به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع
من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة
الجار اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل
يضربهم لهيب النار فترفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا
اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الا

وأسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احماداً لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم
يحلون فيها من حليت المرأة اذا البست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من
ذهب بيان له ولؤلؤ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان
يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل
ويؤتون وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمز بين
وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء
وليليا بقلبهما يائين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه
للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا
الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد
وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته
الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي و
يمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان
محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله و
اوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع
ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن
فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس
حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او
الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن

يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد
عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول
باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر
اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه
فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح
ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا
لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا
تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه
ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ آذن
بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا
بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق
والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر
بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم
الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج
طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص

مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود
مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر
على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على مقتضي الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة
وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء و
مساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه
بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم
ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج
وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام
التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم
لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار
اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط
عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين
ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج
من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم
فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا
المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها العارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا
منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا
الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن

عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه بذلك ردا
لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء
على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو
الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء
لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر
من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء
المردية توزع افكاره او تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح
به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا
خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكونا
من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكا
يشبه احد الهالكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج و
مواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها
ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة
دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منه من افعال ذوي القلوب فحذفت
هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور
والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت
الى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر

النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام
والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو
الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق
الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف
الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به
الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون
غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان
القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر
ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها
والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها
وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها
ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة
بقوله عليه الصلوة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم
البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن
رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير
منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان يقولوا عند ذبحها الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن و

ارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين حرف
الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من
يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على
الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضى بما عنده وبما
يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا
خضعت له فى السؤال والمعتر والمتعرض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره
وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع
عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم
تطعنون فى لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال
الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا
دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن
يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص
له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله
فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا
الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء
وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى
الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدفع عن
الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى
يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور

كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم اذن
رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله
للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع و
ابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم
ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم و
كانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى
لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه
فى نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى
الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا
ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على
اهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع اى صوامع الرهابنة وبيع و
بيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل
اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم
الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره
من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب
واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على نصرهم عزيز
لا يمانعه شئ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل

بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط
واصحاب مدين تسلية له عليه الصلوة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو
ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى
غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائل ولم يكذبوه وانما كذبه
القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين
فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم
بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك
اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها
ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها
اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة
معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها
فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء
فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي ترك
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر
قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما
قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا

ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا ولم يسافروا لذلك
فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من
الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي و
التذكير بحال من شاهد آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي
تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع
الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل
التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في
الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده
لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل
بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره و
تأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من
حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكاين
من قرية اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في
الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف
الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه
في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخره
لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والى
المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم
ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين ومساءته

للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما
يجمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه
لان كلا من المسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو
معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة
يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين
كانوا بين موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة
وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير
الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن
يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته
في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلوة والسلام وانه ليغان على
قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب
به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت آياته
الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل
حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه
ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ
يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا

سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ
كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل • وامنيته قراءته
والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه
من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والاية
تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق و
المبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين
وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم
لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين
الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس
الانس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد
والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر
صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية شك منه من القرآن
او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها
حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت او اشراطها بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم
عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن

كالعقيم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او لم تلقح شجرا او لانه
لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه
موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه منوب عن الجملة التى دلت
عليه الغاية اى يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين
لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاول
تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين
مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب والذين هاجروا فى
سبيل الله ثم قتلوا فى الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما
سوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد
واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا
ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه
هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل
فى العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد فى الاقتصاص
وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغى عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع
هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته
وتعالى شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ

لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اى ذلك النصر بان الله يولج
الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض
الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك
ايلاج احد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل فى
مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع
قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال
القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما
عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من
دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين
وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه فى معنى الالهة هو الباطل المعدوم
فى حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلى على الاشياء الكبير عن ان يكون له
شريك لا شئ اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل
على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما
عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف
يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما
فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض جعلها
مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع
على الابتداء تجرى فى البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض

من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك
الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية
لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله
بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع
ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم
يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها
لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم
ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او
النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع
وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من
المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن
منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم
وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على
انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك
لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت
الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو
وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب
والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من
امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك
في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له

٧ - ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى
ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله
وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع
عذابهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقايد
الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم
للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع
الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على
التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو
النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا
وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا رفعت
خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة
او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة
فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله
يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول
محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها
من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه
يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة
اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على

المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تمثيل هي اعجز الاشياء و
بين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على
مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها
قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما
يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم و
الذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد
الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم
التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق
ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره
في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى
عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه
مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا
واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون و

وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم
والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلوة و
السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله
لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس و
عنه صلى الله عليه وسلم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى
الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص
بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته
وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج
اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في
تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا
بان رخص لهم في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه
والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصبة على المصدر
بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم
ابرهيم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه
المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم
المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران و
الضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم

يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل
وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة
متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته
او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل
اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا
الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي امركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل
له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى
وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل
على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة
الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام و
التفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم
خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي
انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره
نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين
هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه
وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير و

والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل
على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في
عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد
وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات
البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه والزكوة
تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو
موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون
من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في
حال التزوج او التسري او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك
مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين
هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا
فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها
لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم
لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها
واصلاحها وقرأ ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل
مصدر والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها
وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشأنها اولئك الجامعون

لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم
يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان
منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او
لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين
الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة
لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة
سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله
فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير
على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في
الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة
بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم
فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما
انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع
لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم
الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة
البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت
واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة
لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين

المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون
لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل
وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله
فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن
ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل
نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر
نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في
الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر
استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها
في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز
ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب و
العنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف
على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منها
علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف

لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال
كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين و
الشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم و
قرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز
ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو
عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير • رأيت
ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل • او على تقدير تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه
عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من
الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء وقرأ نافع
وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها
واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان
منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب
للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة • سفينة بر تحت خدي زمامها • فيكون
الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس
ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف
لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل

يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا
تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل
رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ويعنون نوحا اي ما سمعنا
به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة
وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة
اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق
من جنونه قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من
العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسد عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع
فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار
الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب
ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام
وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك
غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر و
الانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين
واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول
منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء
باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في
الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي
ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم

بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب
انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ
منزلا يعني انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره
بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان
يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم
فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولوا
الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين
عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا
آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين
اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا ولعله ذكر
بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استونف
به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او
بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال
والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما
تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف
مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون
حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث

الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل
بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر
جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز
ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة
هيهات هيهات بعد التصديق والصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام
للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد
قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون و
قرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على هذا الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا
حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي
النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على
هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت
ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو
الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث وما نحن له
بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم
اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح
عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح
بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي
بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو

حميلة كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لا
يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم
ما تسبق من امة اجلها الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما
يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة
وقرا ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة
رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسل اليهم لان
الارسال الذى هو مبدا الامر منه والمجىء الذى هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة
وهى ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا
بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا
وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها
ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج
وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى الى فرعون
وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا ~~كما يطلق الجمع كقوله بشرا~~
~~سويا~~ كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم
المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال

حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمتبصر بادنى
تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيها وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان
يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال
فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون خادمون
منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه
لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن
مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن
مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها
مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرا ابن عامر
وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة
وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين
ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشىء او من الماعون
وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك
بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا
ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك
دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل
تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم

لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهابنة في
رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل
في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه
والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع
عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون
او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون
بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقايد واصول
الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب
امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم
امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى
الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو
مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون
مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل
كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق
فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون
بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون ان ما نمدهم به ان ما نعطيهم
ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب
عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون
ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة

فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير
وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به
ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون
حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون
ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات
وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم
الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك
يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون
في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله
ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون
السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها
قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا
كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع
وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة
في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم
اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك
هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل
يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف و

العظام المحرقة اذا هم يجأرون فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة
مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اى قيل لهم
لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى اى لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا
او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتى تتلى عليكم يعنى القرآن فكنتم على
اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنت عن سبق ذكره او لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى
مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اى
تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية
وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون
عن القرآن او تهذون فى شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من
اهجر وقرئ تهجّرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم
باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل
واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له
منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا او ظنا انما
يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم
يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او

او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان فى الواقع
آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره فى قوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام
به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب شركا
لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل
ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات
والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى هو ذكرهم
اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين
وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله
ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خير
لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما
تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم
فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى
خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم لك
واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل فى هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا
يؤمنون بالآخرة عن الصراط السوى لناكبون لعادلون عنه فان خوف
الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما
بهم من ضر يعنى القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ فى طغيانهم افراطهم
فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى

روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون
لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس
من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من
كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها
ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع
الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها
استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو
الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد
تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ومختص به تعاقبهما لا يقدر عليه
غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما و
ازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات
كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين
بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا
ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا
اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك
وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من

من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد
اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا
ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس
باهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام
فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض
مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه
غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا
يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر و
تظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون
حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه
من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب
محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولظهر
بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت
كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من
الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير

وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك
بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء
قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون
من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في
العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في
امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد
من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا
نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله
رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او
فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن
بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو
الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من
التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على
خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس
على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون فيحوموا حولي في شيء من
الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال
بان يخاف عليها حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الا

الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة
لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل
لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي
تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله
عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب
الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم
والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو
اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه
الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه و
بكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذاك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت
موازينه موزونات عقائده واعماله اي ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون
لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات و
من خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها
وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك

تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة
الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم
على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا
العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى
سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا
قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون
لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت
الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار
يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا
امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل
فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي
هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور
بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط
تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني
جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين
به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا قال اي الله او الملك
المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل

اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار
او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي
في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها
فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين
يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال
وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم
افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له
اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من
عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا
اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وتنزل منه
محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين
وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا
او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها
للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل
الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو
مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل
او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي

الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال صلى
الله عليه وسلم لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من
اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح **سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع
وستون آية** بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او
دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو
لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات
واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية و
الزاني فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما
قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان
مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن
لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي رضي الله عنه عليه تغريب الحر سنة
لقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ
احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية
والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو
مردود برجمه عليه الصلوة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن

بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي رضي الله عنه عليه تغريب الحر
سنة لقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما
يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان
بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو
مردود برجمه عليه الصلوة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس
بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله
في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه
وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان
التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان
المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان
المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة
ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في
الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين
انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم
ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة
والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة
وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي

ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه
صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزنى بها
الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير
كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا
ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء
اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة
خلافا لابى حنيفة ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص
عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف
ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن
القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله
قبل الحد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره واولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك
ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو
اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة
الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر
على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع
متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم
شهداء الا انفسهم نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من

من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب
شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة و
الكسائى وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة
لتقدمها انه لمن الصادقين اى فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسر
ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين هذا لعان
الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله
صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة
ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب اى
الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به والخامسة ان غضب
الله عليها ان كان من الصادقين فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر
او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله
وقرأ نافع ويعقوب ان لعنة الله وان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع اللام
والباء وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب
حكيم متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك
بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد
ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه صلى الله عليه وسلم استصحبها فى بعض
الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل
فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد

ثم احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس
وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا
الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
يريد عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول
عليه الصلوة والسلام وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم
به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة اية فى براءتكم وتعظيم شانكم
وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من
الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذى تولى كبره معظمه وقرا يعقوب
بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان بن ثابت ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى
بمعنى الذين له عذاب عظيم فى الآخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم
وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن
الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما
جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك
يتسع فيه ما لم يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله
وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا
فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم و

ورحمته فى الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله
عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة
المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال
تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه من القائه بعضهم على
بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا
طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما
مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار
العذاب فهذه ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ما ينبغى وما يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص
وان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة
الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله ان
يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب
او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود
الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت
عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن

الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة
في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما
في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما
في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة
بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وكذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله
ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وسكونها ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه و
المنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب و
شرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله
يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا
يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه
نزل في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته
وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على
فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين
لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل
المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على
عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين

ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله و
رسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول صلى الله عليه والمؤمنين كابن ابي لعنوا في
الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم
يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت
وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من
معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم
او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم
المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته
لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي
العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي
الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك
يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون
اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال و
الاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرءون مما يقولون فيهم او
للخبيثين والخبيثات اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه الصلوة والسلام بشاهد من
اهلها وموسى عليه الصلوة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم
رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول عليه الصلوة والسلام واعلاء منزلته يا ايها

الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان
الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا
ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يوذن له او من
الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يوذن له
فاذا اذن استانس او تتعرفوا اهل ثمة انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا
السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات
فاذا اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة
او على تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء
ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
أأستاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان
تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم
هذا ارادة ان تذكروا وتعلموا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها
حتى يوذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط
بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض
فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى
لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة
او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم
عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها
متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة و
ذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا

من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض
وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد
عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم
وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون و
قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه
من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر
بريد الزنا وتقديم ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في
سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة
لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا
لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة
من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما
يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان
الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات
فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال والنساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف

او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روى انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبى والتابعين غير اولى الاربة من الرجال اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المودية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال • فان تنكحى انكح وان تتايمى • وان كنت افتى منكم اتايم • و تخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون

الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الاية لكنه مشروط بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتداء خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم من مال الله الذى اتيكم امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه

صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست
جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم
من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا
لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول وفق للظاهر ولما
في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة
غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره
القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات التي بينت في
هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر
لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او
لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال
من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف
ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون
بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض
النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا
بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض
وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء
او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او

او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل
الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود لذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك
اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك
عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات و
الجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب
يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل
نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه
عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة
المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري
مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء
فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء
ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد
قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة
الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة
ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء
للمفعول من اوقد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة

بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين
وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها
طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى
اولا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود
الزيتون اولا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او مغناة تغيب عنها دائما
فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مغناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه
نور على نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة
القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى
الذي دلت عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكوة
المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم
بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه
بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة
المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما
منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد
وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك
المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعلمية التي تدرك الحقائق
الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة
القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء
المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء
الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان

فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما
وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور
المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من
المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف
الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة
المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن
اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد
تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها
في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم
الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير
كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد
فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي
يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار
من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره
لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها و
يضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله
بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد
لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت
او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا او مبالغة فيه فان

قناديل المساجد تكون أعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا
ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل
فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها
وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر
فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له
فيها بالغدو والآصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو
مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده
الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله
مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي
التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه
اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه
ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين
الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما
يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة
تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها
فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب
من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى
كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء

جزاء ما عملوا الموعود لهم الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على
كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله
يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس
عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو
الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن
ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة
حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده
عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله
سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة
بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف
على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها
خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او
للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات
او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة
في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من
فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب
غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها
فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى او باضافة السحاب
اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان

يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر
له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر
الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له
من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن
لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على
الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات
فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما
فيهما من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد
مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او
طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى
النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما
الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد تهتدي اليها العقلاء ولله ملك
السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال
ومن حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر
ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف
بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه
ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه
جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد
بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من

من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية والثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس
في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد
البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل
ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل
منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام
الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار
بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه
ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء
وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار
بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة
من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله
الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر
والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي
الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى البصيرة والله خلق كل دابة حيوان
يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء
مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات
ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي
على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي

على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء
والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في
القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور و
الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق
بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى
صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون
امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف
وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه
في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى
بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين
اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم
لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عليهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا
والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون
فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين
لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض
كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام

ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل
فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب
نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم
الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي وقرئ قول بالرفع و
ليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع
الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من
الذنب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو
وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف ابو
بكر وخلاد بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء وقالون وهشام بخلاف عنه باختلاس
كسرتها والباقون بصلتها وحفص بسكون القاف واختلاس كسرة الهاء فشبه
تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون
بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب
طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان
الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ
ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل
من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما

على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم
فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم
كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة
وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام فاذا ابتدأ بضم الالف والباقون بفتحها واذا
ابتدوا كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية
والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف
امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله
وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة
للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود و
الموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة
يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان
المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير
مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول
الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح
مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة و
اطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان
الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا
تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن
ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير
فيه لمحمد عليه السلام والمعنى كما هو في القرأة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى لا
يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه اولا
يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين كشئ واحد
فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل
الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق
نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستأ ذنكم
الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة
على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض
عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت
ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدلج ابن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد
انكشف عنه ثوبه فقال لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان
ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم
يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم و
الليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم
ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي
هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة

بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره
ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان و
مماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف
ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على
تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على
بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات
كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم
المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم
آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز التي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان
اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة
مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما
يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطا بسواده كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال

عليم

عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من
بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم
على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما
يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ
بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في
القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ
مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به
وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت
باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول
الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من
كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم
ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف

الطعام في القرابة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه
ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر
لانها بمعنى التسليم مباركة لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها
نفس المستمع وعن انس انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا امتي فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها
صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد و
تفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود
منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون
في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع
كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره
في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه
التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة
وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من
المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر
الى راي الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى
رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن
لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور

قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير
عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على
دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان
المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته
كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم
مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا
دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا
دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل
لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق
معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى
الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه اذا صد عنه دونه
وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان
الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان
ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه
المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق و
الاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون
اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم

بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية
وآيها سبع وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه
على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك
الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق
والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم او
الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين
نذيرا للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ونظم الجملة وان لم تكن
معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات
والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى
ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه
وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير
حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره
تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبر واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال
المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من

من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده
حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد
والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا
ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد ولا
احياءه اولا ولا بعثه ثانيا ومن كان كذلك فمعزول عن الالوهية لعرائه عن
لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث
والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه
واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه
بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا
ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه
اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة و
اصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا
عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه
اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال
هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل

ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف
حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم
ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق
الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة
ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما
للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون
وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر
كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال
النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي
فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى
تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى
الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا
عطف على محل الجزاء وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان
ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله • وان اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا
غائب مالي ولا حرم • ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ
بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك
بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب

كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه
باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلوة والسلام لا
تترآى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه
سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسبت اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها
بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح
مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرا ابن
كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك
في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا
كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في
كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى
العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة
والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها
او التميز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله
في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها
جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي

الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر
همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شاو الكامل بالتشهي
وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم
كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان
ذلك موعودا حقيقيا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما
في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم نحشرهم
للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون
من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق
لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب
الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة
السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام
الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر
بالنون ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام
ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل
دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا
سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر
على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده
او تنزيها لله تعا عن الانداد ما كان ينبغي لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

اولياء للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا
دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعا
واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول
مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات
حتى نسوا الذكر حتى غفلوا من ذكرك او التذكر للآيات والتدبر في آياتك وهو
نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه
وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك
قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع
بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على
حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة
او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير
بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون
وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم
انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه
عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد
بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه
كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب
لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشّون اي تمشيهم
حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء

الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذآئهم لهم
وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على
القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم
يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان
ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون
لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء
الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه
ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق
محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا
فى انفسهم اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل
خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم
عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا
لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفى الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون
الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى
يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر
وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت
منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق
البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو و
الشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما

بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم
وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى
حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع
مخصوص كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا
للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى
وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف
فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم
فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس
يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته
وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا
يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة
خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس
والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن
تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم فى
الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب
ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء
وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو

الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل
وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق
للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته
او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة
وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة
لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل
طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي
طرق الضلالة يا ويلتا وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله
وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن
ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني
وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول صلى الله عليه وسلم او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه
حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد صلى الله عليه

وسلم يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان
تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون
اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه
تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق
الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك
عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض
قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز
لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك
لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه متفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم الصلوة والسلام حيث كان عليه الصلوة
والسلام اميا وكانوا عليهم الصلوة والسلام يكتبون فلو القي اليه جملة لعيي بحفظه
ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع
يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل عليه الصلوة والسلام
حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام
القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة
مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه
القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون

حالاً والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه
ترتيلاً وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين
واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل بسؤال عجيب كانه مثل في
البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن
تفسيراً او بما هو احسن بياناً او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حالك الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفاً
لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او
متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف
على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكاناً واضل
سبيلاً والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير
مكانه بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكاناً واضل سبيلاً وقيل انه
متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً ووصف السبيل بالضلال من الاسناد
المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيراً يوازره
في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في
الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه باياتنا
فدمرناهم تدميراً اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء
بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم و
التعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحاً ومن قبله او نوحاً وحده ولكن تكذيب

تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقاً كالبراهمة اغرقناهم
بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذاباً اليماً يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعاً للظاهر موضع المضمر تظليماً لهم وعاداً
وثموداً عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرأ حمزة وحفص وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية
فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود
فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيباً النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى
بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل
كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقروناً واهل اعصار قيل القرن اربعون
سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيراً لا يعلمها
الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذاراً
واعذاراً فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيراً فتتناه تفتيتاً ومنه التبر لفتات
الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه
فارغ ولقد اتوا يعني قريشاً مروا مراراً في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت
مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا
يرجون نشوراً بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا

فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او
لا يخافونه على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع
هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار
واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء
ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا
عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن
انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله
تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب
له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان
اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به
افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما
قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من
عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم
بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل
سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها و
تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا

شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج
الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة على طلب الكمال فلا تقصير منها
ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم
تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك
فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما
بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع و
تسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال
وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون
بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس
حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها
ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى
التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا
قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع
الخلق وثم في الموضعين لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى
السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال
ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او
دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض
اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه

بالّلباس في ستره والنوم سباتاً راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع
اوموتا لقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت و
جعل النهار نشورا اى ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه الصلوة والسلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو
الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع
نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه
مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى
قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور
المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل
بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب
وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما
للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على
ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا
بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون
بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب
الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو
للدلالات على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الاناسى وعامة

وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم
عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان
وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياءه وهو جمع انسى او انسان كظرابى
في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا
هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن
عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا
هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق
النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس
الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا
ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق
الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك
وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات و
الاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو
تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع
والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة
باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد
مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع

للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل
اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا و
تنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب
النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة
في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت و
تلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر
به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات
بسهولة والنطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
فجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما
من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم
ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة
الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قطعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية
الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا

اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب
من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء
عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا
عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب
عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه
ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل و
المتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة
نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته
مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر
صفة للحي فاسئل به خبيرا فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تعالى او جبرئيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده
والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا
يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي
تامرناه يعني تامرنا سجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه
بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك

الذي جعل في السمآء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
يعني الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرا حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس و
الكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل
ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه
او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم
واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرا حمزة ان يذكر
من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتداء
خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار
هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد
هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء
وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان
بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب

العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم و وثوقهم على استمرار
احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز
والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان
ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان
الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم
ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير
منع الواجب وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر
ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك
قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ
بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة
ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير
متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها
الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي
بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور
موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا
لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما
اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من
يلق لانه في معناه كقوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير
ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في

يضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ونضعف له العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب و
آمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثيب له بدل كل عقاب ثوابا وكان
الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن
المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي و
دخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا
للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم
او فانه يرجع الى الله او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة
الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح
عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ
او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين
بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون
راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل
الهاء للمعاصي المدلول عليه باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا و
ذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله
في طاعة الله سرهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع
لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة

والكسائي وابو بكر ذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما و
تقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده
لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد
واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع
آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة
اعلى مواضع الجنة وهو اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة
بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير و
السلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية
دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين
فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى
ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا هياته او لا يعتد بكم
لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا
فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه
آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء
يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من
قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون
منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب
فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم
حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف

وقيل المراد قتلهم يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة
آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا قوله
والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء
المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب
المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة
لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات
من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على
ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر
موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله
لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه و
اصرارا على ما كانوا فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى
بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر

بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان
حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم
ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو
صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على
القدرة وان يكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او
مع غيره وكل للاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما
كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات
العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم
حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى
ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم
الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول
او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك
الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم و
اجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا
غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم و
اسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده
وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس
اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في
الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة

في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت
مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته
ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة
على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على
يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف
او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته
المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما
هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال
كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم
اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل
الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم
يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل
نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة
في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق
ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا
انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين
المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما في الاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او
لانه اراد كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما
اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت

فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر
سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك
التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك
بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي
او ممن تكفرهم الآن فانه عليه الصلوة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من
احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما
عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من
المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين
من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من
المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده عليه من النعمة
ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة
نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك
التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح
ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار
اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف
او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها
علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف
والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقته

المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف
الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين
الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير
احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ لسائر
الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء
بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا
تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة
متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب
آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى
مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب
المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق
ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم
به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق
ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن
اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد
الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره
للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا
اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام
في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة

هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين
اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين يدل على صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو
للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك
بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لابد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته
فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى
قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي
الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال
ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون
بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم
عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر
امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك
بكل سحار عليم يفضلون في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة
وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه
كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن
مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم
اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن

الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة
عليه ان غلبوا فاذن على ما تقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نِعِم بالكسر وهما لغتان
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن
الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة
توسلاً به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن
ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف
بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم
وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقى السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا
لا حقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل
على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه
تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القى بدل
الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار
على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم
الذى علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شئ ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه
اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة
والكسائى وابو بكر وروح اأمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا
فى ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب
للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها انا

11

انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره
ان احسنت اليك فلا تنس حقى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وذلك بعد
سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا
وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى
وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر
بالاسراء اى اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم
قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم
فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم فى المدائن حاشرين
العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت
مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما
بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون
لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم فى الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو
اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك
الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون
والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال
احب الصبى السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر • او تاموا

السلاح فان ذلك يوجب حرارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية
الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني
المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا
لمحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين
في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ
تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من
ادّرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم
فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق
النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب
فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا
ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه
اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم
ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم
يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو
العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا

قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به
وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة
اذ تدعون عليه وقرئ يُسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من
اعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم
سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم
عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر
الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان
لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها
نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر
او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل
معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين فانه
يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر
فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع
ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم
الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية
ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول
مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على

الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا
مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان
الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه
لان مقصوده تعديد النعم ولا ينقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه
لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل
المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض
في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما للنفس وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي
ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفار للماعسى يندر منه
من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي
ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به
خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في
عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي
لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين
ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه اوصادقا من ذريتي يجدد اصل
ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من
ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق
للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان
لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الا

الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت اوبنقص رتبتي عن رتبة بعض
الوراث اوبتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا اوبتعذيب والدي او
ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان اومن الخزاية بمعنى الحياء
يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون اوللضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وسائر آفاته اولا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق
ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عبادا
لله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا
ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه
وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها
وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي
اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله
اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون
اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار
ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين
اوشياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده والا للضمير وما
عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب
في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر
للعبدة كما قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ

ضلالهم معترفون بانهما كبهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما
لنا من شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء
واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا نخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد
الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى
اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين
والصهيل فلو ان لنا كرة تمني الرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان
لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام لاية لحجة
وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقدير
يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه
على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر
في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم
الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز
القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم
نوح المرسلين القوم مؤنثه ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره
اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من
التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد
من امانته وحسم طمعه على طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك الا

الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرئ يعقوب واتباعك وهو
جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم
على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما
يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة ولذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا
او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على
بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم
وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين
كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا
اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته
يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة
قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم
له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن
معي من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون المملو ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لاية
شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت
عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء

الى معرفة الحق وطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وان الانبياء
متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع متبرؤن عن المطامع الدنية
والاعراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها
آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون
اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون
بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون
فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين
بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا عليه امداد الله
اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد و
الوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة
للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا
كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب و
قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة
الاولين يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم
ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم
يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب ا

التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اتتركون في ما ههنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في
تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل
الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر
من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من
الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو
ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد
الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة
على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على
عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا
تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد
ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا
على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم
عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر
الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين

على عتو ما خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم
تنفعهم فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض
ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا
عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا
تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اى اتاتون من
بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران
من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين
على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح
منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه
الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من
المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف
وسوء حال قال انى لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن
الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى
زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شؤمه وعذابه
فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا هى امرأة لوط فى الغابرين مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها

اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت
فيمن بقيت فى القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا
عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين
اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان
اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل
الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة
وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط
ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا فى الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين
وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين
للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين فى دعواك فاسقط علينا
كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ

حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون
وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت
انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب
يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديدا للمكذبين واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل واقتراحهم
له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان
ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله والقلب ان اراد به الروح
فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش
بها اللوح المتخيلة والروح الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه لتكون من
المنذرين عما يؤدى الى عذاب من فعل وترك بلسان عربى مبين واضح المعنى
لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى
لتكون ممن انذر بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلوة
والسلام وانه لفى زبر الاولين وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية
على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ان يعرفوه بنعته
المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم
والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية

وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة فى اعجازه
او بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم
واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
كذلك سلكناه ادخلناه فى قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به
مؤمنين فيدل الآية على انه بخلق الله فيدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى
ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم بغتة فى الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر
علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرأيت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول
فى دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة
ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لاتفاقهما فى معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة
اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين
كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة وما ينبغى لهم وما يصح لهم ان
يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه
مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية
ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج
لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا

فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم
قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين
لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل انى
برئ مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر على قهر
اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن
عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذى يريك حين تقوم الى التهجد وتقلبك
فى الساجدين وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام
الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين
المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله
التى بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا
للتوكل وتطمينا لقلبه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد
ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان تتنزلوا عليه من وجهين احدهما
انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من
التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون
السمع واكثرهم كاذبون اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا
وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها
الواقع كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من

مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى
وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار
اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر
للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض
المغيبات ويوحون الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم
او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد
صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره الم تر انهم
فى كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب
بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب
والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى
بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين
وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم
وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على
الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة
هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه
الصلوة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه
صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فو الذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين

مطلب

ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي
الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام و
التهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باي منفلت ينفلتون
من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب
الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين
اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار
تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم
والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى و
تنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها
او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات
من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال
او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او
جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون
بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان
جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها

بترتب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك
الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون
اشد الناس خسرا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه
من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم
ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد
والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في
بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ
قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير
ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او
الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب
اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه
او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة
الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء
فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف
وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره
في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة
المذكورة في قوله نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ومن
حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا

تلك البقعة التي كلّم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير
الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام و
سبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها
وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه
انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز
الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من
الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على
بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان
الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب
كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري
ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما
يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض
موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي من
ظلم ثم بدل ذنبه وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع و

والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد
من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او
اذهب في تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى
الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال
فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا
بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر
من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها
وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما
لانفسهم وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف
عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود
وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد
لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال
ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وعلى ان يتواضع
ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة
او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر
وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها
بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من

عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا
كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة
ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث
انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض
بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه الصلوة والسلام مهما سمع صوت حيوان
علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكى انه
مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء و
صاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن
شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في
علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد
من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو
الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن و
الانس والطير فهم يوزعون يعني يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا
اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من
علو او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا
ان ينزلوا آخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما
رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة
تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم
ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان
وجنوده نهي عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك
ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة وهم لا

يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم
والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه
الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق شكره وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت
عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى
والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه
والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضيه تماما للشكر و
استدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد
الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين
ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالي لا اراه
ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال
عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني
بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير
عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه
عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد
زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف
فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على
ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه
علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ وقرأ

ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبإ يقين
بخبر محقق روي انه عليه الصلوة والسلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم
واقام بها ما شاء ثم توجه اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته
نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء
فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فراى هدهدا واقعا فانحط اليه
فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة
الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها
من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان
والضمير لسبإ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم
عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا
وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله كانهم يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة
الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون
اليه الا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من
اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرا الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف
على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله ● وقالت
الا يا اسمع نعظك بخطة ● فقلت سميعا فانطق واصيبي ● وعلى هذا صح ان يكون
استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى
الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراتها وقرئ هلا
وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في
السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق

باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد
على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب
وانزال وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل و
الابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا
هو رب العرش العظيم فانه الذي هو اول الاجرام واعظمها المحيط بجملتها فبين
العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت
من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملا اني القي الي
كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان كتابا مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية
في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من
سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان
من سليمان وانه اي وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية
فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني
مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة
على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي
عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر
فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء
الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملا افتوني في امري

اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا
امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن
اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول
فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم
القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم
فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة
والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم
الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما
ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة
بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو
في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا
عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب
الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة
بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء
بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه
ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال
اتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ

وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء
فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتيكم فلا حاجة لي الى
هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا
على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي
حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها
الرسول اليهم اي بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة بهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا
فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها
اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظم القدرة
وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره
قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال
عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة
كان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا
ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او
جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة
على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة
في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم
والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية

والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف
بارسال الطرف كما في قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا • لقلبك يوما اتعبتك
المناظر • وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه
فلما راه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة
المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة
الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او
غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسراء ليبلوني ءاشكر بان اراه فضلا
من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في
اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه
به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة
الكفران ومن كفر فان ربي غني عن الشكر كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها
عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي
ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة
عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها
اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله
وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت
انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله
وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت فيه

جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها
غير الله ولا يظهر الا على الانبياء اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها
وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من
التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها
الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها
كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول اي
صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة
الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر
صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره
في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن
كثير سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق قال انه ان ما ظننته ماء صرح ممرد
مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس و
قيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع
ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه
وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها
الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون
الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك
وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم

قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي
هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط انفس
وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او السبعة
الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اى شانهم
الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول
او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن
فيه القراءات الثلث لوليه لولى دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم
وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد
جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا
لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم
وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه
المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روى
انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ
منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت
عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة
فخبرها كيف وانا دمرناهم استينافا او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها
تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف
او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا

اذا خلا او ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك
لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة
ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها
اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون
الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه
على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتى خلقن
لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز
بين الحسن والقبح او تجهلون العاقبة والتاء لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا
امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته
وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده
والسلام على المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم
وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك
آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير

ابو عمرو

فيما اشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ عاصم ويعقوب
بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي
المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته
والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد
المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق
وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له
شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آلهاً باضمار فعل مثل اتدعون او
تشركون وتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات و
جعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب
عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن
وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس و
الروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء
الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم
منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء
الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم ءاله مع الله الذي حفكم
بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما
مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم

بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او
مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك
ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل
للمسبب ءاله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق
عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة
فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية
وارضية ءاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك
ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من
يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من
تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه
وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة
من اي وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة
لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان
اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيمة
كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا
بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين

ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات
الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة ووصفهم
باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت
الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان
اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلها تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين
وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك
وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم
وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على
ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورده وانكار لشعورهم وقال
الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه
ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها
وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال
الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي
اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد صلى الله عليه
وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث
ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على
تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان
وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون

متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل
وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان
الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل
على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما
فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء
من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في
السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية
او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين
ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين
بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع
الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم
راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ
ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا

بالبصر وقرأ حمزة وحدهٖ وما انت تهدي العمى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من
يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله
واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا
لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب
وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام
سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام نكتت
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت
بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة
فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون خروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله
وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى
قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من
كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن
الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم
يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم حتى اذا جاؤوا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي
اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان
لتحققها اما ذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا
غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل
بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد و

ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الموت بالحيوة
في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار
حالا من احوال المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل
لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن
في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع
بان يثبت قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة
العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه
على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى
الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان
الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا يكاد يتبين حركتها صنع الله مصدر
مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم
خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم
عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي
والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو
الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء
وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان

من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح
الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار
فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا
تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم
ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول بان يقول
لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة
وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص
مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا
وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلوا القرآن وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا
او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي
لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي
من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة
او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج
دابة الارض او في الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم
المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ
بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من
قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز ان
يكون بمعنى ننزله مجازا من نبأ موسى وفرعون بعض نبأهما مفعول نتلوا بالحق
محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف
مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل
آخر او بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنوا
اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني
اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع
بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير
من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان
فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف
ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون
تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة
الوقوع منه جاز ان تجرى مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين و
نجعلهم الوارثين لما كان في ملكه فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض
مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط
واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون

من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان
بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا
خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة
ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها
فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه
قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد
واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له
بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على
ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون اى لفرعون
حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما
راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء
بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه
قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ
الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت
من نور عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او
نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول اليه

اللام في ليكون لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة
لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه
ابو السعود

اى وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من
احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده
انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد
الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت
لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر او الثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في
استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن
بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او
انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع
او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصها اثره
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في
ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى
تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن
يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس
والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به
الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه

ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان موعده حق فيرتابون
فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط
منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوه
وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى
الا على راس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او
علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا
بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من
اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما
ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فسأله ان يغيثه
بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطى بجمع كفه
وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله
وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه
كان ماموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاء وانما
عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقرات
فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله
فاغفر لى ذنبى فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب
بما انعمت على قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن

فلن اكون ظهيراً للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن
اكون معيناً لمن اوت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم
يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين
اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفاً يترقب
يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق
من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين مبين الغواية لانك تسببت
لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى
والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل قال يا موسى
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفساً بالامس قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غوياً ظن انه
يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى
ان تريد ما تريد الا ان تكون جباراً فى الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن
ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن
من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان
تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ايتماراً لان كلا من المتشاورين يأمر
الآخر ويأتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفاً يترقب لحوق
طالب قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه
تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم عليه الصلوة

والسلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر ثمان قال عسى ربي
ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق
فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما
ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها
امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في
مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط
باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة
مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان
ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع
ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة
يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى
ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت الي من خير قليل
او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل عدي باللام وقيل معناه اني
لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون و
الغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية
متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفيراء وهي التي
تزوجها موسى عليه الصلوة والسلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر
ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر
بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا

انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل
بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل شايع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة
فيه جعل خير اسما وذكر بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف روي
ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله
ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية
ثماني حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك فاتمامه
من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله
جرى على معينة ومهر آخر او برعية الاجل الاول ووعده ان يوفي الاخير ان تيسر له
قبل العقد وكانت الاغنام للمتزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك
وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق
عليك اعتقادك في طاقته ورأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من
الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني
وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدى علي بطلب الزيادة
فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا

بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علىّ وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علىّ وقرئ ايما كقوله • تنظرت نصرا والسماكين ايهما • علىّ من الغيث استهلت مواطره • واىّ الاجلين ماقضيت فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اى اىّ الاجلين جردت عزمى لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التى تلى الطور قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم تكن قال • باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذى غير خوّار ولا دعر • والقى على قبس من النار جذوة • شديدا عليها حرها والتهابها • ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتيها نودى من شاطئ الوادى الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى فى البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ ان يا موسى اى يا موسى انى انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان فى الهيئة والجثة او فى السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودى يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالها فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر و

وهو ان يكون فى وجه العدو واظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك ~~وقرأ ابن عامر وحمزة~~ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابوبكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين وكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل او نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى بآياتنا

بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على
الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر
او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء
بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال
جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز
صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار
الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها
بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء
انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون
يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي
يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان
جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له
رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها
لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو و
جنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الآخذ واستحقار للمأ

للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في
هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود و
صالح ولوط بصائر للناس انوار القلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق
والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لهم لانهم لو عملوا بها نالوا
رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة
وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق
الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي
اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار
عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا
قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد
موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين

شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا
كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد
به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن
رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما
متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين
عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان
تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى
امتناعية والثانية تحضيضية والفاء في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها
لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى
تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم
ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين
ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا
وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب
وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعني موسى
وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين
وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون

اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما
نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط
التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا
لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء
غالبا كقوله • وداع دعا يا من يجيب الى الندى • فلم يستجبه عند ذلك مجيب •
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد
فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد
والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من
اهل الانجيل اثنان وثلثون جاءوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام و
الضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه
كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من
قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ
وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين
الاسلام قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم و

ثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من
هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله
عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل
الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام
ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة
رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل
مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه
يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من
كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم
للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل
منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره
وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة
ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا

من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية
لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم
او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ
لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف
اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته
مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن
وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب
الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى
لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ
بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن
الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو
مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة
من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع
في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية
كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة
او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم

بثبوت قال الذين حق عليهم القول بثبوت
مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من
آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو
استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا
ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة
وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من
الكفر هوى منهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا
ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط
الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم
كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب
وقيل لو للتمني اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء
فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله
فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض
ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء
ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن
مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب
لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا

وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير
وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق
باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه
ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار
والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح
سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة
الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو
له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى
الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل شىء
واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد
وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت
الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه
هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا
تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى
يوم القيمة باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله
غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف

الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان
منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان
استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم
تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين
شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند
وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد
عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ
ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما
كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر
بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او
حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى
متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة
اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله
حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء
بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء
لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقه لا محالة يوجب الترح كما قال

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا
بما آتاكم وعلل النهي هنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب
الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه
فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك
ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما
يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن
بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر
يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته
على علم عندي فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال
وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء
وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي او في ظني واعتقادي اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب
وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التورية وسمعه
من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا
يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة
فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا
اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب
المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على
بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه

قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من
الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك
استعمل للزجر عما لا يرضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون
بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب
فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة
الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه للقرابة حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل
الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه
فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق
قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك
بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض
خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى
عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه
فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته
ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان
له من فئة اعوان مشتقة من فأوت راسه اذا ميلته ينصرونه من دون
الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم
نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته

منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض
ويكان عند البصريين مركبة من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه
الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره
ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده
فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرئ لخسف بفتح الخاء والسين ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة
تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها
والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا
فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا
يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم
بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف
المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك
القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد
وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على
انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد
ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي
انه لما بلغ جحفة في مهاجرته اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم
من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم
ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين

وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى
سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما
القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم
والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها
بعد اذ انزلت اليك وقرئ يُصِدنك من اَصَدّ وادع الى ربك الى عبادته و
توحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله
للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه
الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق
واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له
من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا
شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق القول فيه ووقوع
الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما
يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين
او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين
من تمامه ولقولهم آمنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة
ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر

عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من
اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب
رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة
جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا
في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى و
ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او ليسمنهم
يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات
الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا
فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة
والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون
اى بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان
يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة
من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده
بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من
افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقاء
لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر
ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال
العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مشاق الطاعة و

والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين
فلا حاجة به الى طاعاتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من
الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا
الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك
حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل
بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي
العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما
علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد
من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك
ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في
سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل
من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في
لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله
المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا
اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من
اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء
نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد

والمراد المنافقون او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد
الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل
خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم
بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف
الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين
والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم
اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال
والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسئلن يوم القيمة
سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه
بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان
ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة و
خمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة
الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة
فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او
نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه
من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم

ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون
ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على
تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اى ارسلناه
حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال
ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون
ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء
شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم
عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون من خلّق للتكثير وتخلّقون من
تخلّق للتكليف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك
من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان
يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك
له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من
النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان
تكذبوا وان تكذبونى فقد كذب امم من قبلكم من قبلى من الرسل فلم يضرهم
تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على
الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا
يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه و
يحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم
والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها للتسلية

لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم
فى قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد
بالموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز
ان يأول الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من
النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة
او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر فى فعله الى شئ قل سيروا فى الارض
حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما الصلوة والسلام فانظروا كيف بدأ الخلق
على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة
الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج
من العدم والافصاح باسم الله تعالى مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ و
القياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من
عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون
والكلام فى العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ان الله على كل شئ قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى
كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته
واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم فى الارض ولا فى السماء
ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصن
فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان ∴
امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء • وما لكم من دون الله من

ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين
كفروا بايات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من
رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا
في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب
قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او
حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم
فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما
ان في ذلك في انجائه منها لايات هي حفظه من النار واخمادها مع عظمها في زمان
يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل
فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون
مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا
سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه
ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر
مبتدأ محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر
ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول و
قرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة
بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن
بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا
ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخيه
واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر

من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم
الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع
لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين و
نزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن
الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر
منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة واتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة
فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن
الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او ما عطف
عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها
من احد من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت
منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة
حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما
ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه
اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة
بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة
المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب
واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى

بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم
والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى قال ان فيها لوطا اعتراض
عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا
غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم
عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين فى
العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم جاءته المساءة والغم
بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت
يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال
ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم
منا انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة وابن كثير
والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر فى الثانى وموضع
الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار
الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمى بذلك
لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرا ابن عامر منزّلون
بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هى حكايتها
الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل
بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار
وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا

وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه
من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا فى الارض مفسدين فاخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا فى دارهم فى بلدهم او
دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا
منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص و
يعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اى
تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى
الذى بينه الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم
لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فائتين
بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه
عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم
كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذاك من عادته ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما
اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته فى الوهن والخور
بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر

والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة
واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر
والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن
من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون
المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من
شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما
قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او
نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم
وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من
فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر
القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا
صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون
الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه
الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات و
الارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة
الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم
المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه
واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي

المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية
منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به
للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية
عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين و
الغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة
اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا
منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ
العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي
هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم و
قولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم
تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض
باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق
لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من
تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب
او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما
يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر

فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يعيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم
خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب
المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما
سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه احد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل
لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع
دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر
احد تحريفه وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح
وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات
قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين
ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا
تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت
دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بينة لرحمة لنعمة عظيمة
وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من
المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال
كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي و
مقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي و

وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك
هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب
عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم
يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيط بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم
واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون
استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت
وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا
عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم
العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه
عليه الصلوة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام والفاء جواب شرط
محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم
من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا

على اذاية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم
يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق
حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم
انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها
واياكم الا الله لان رزق الكل بالاسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على
معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول
وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن
توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب
وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم
ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على
شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك
واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل
ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم
وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويتبهجون به ساعة
ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع

لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ
من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك
اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة
والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح
حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له
الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا
الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي
يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام
وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي
وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين
يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن
النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه النعمة
المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله
يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني
الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم
بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم
كقوله: الستم خير من ركب المطايا. اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل

هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اى الم يعلموا ان فى جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراة والذين جاهدوا فينا فى حقنا فاطلاق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول
الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصر
والاعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهى ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم فى ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او فى
ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون فى بضع سنين روى
ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض
الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على
فارس بعد بضع سنين فقال له ابى ابن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر وماده
فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله بعد قفوله
من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى و
جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود

الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة
لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا
على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم
المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر
من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون
ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كانه
قيل قبلا وبعدا اى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر
الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما
اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله
المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء
فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة
ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد لا يخلف
الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده
لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها
وهم عن الآخرة التى هى غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية
تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على
تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا
لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من
العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية
صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة

ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى
يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا فى انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا فى
امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها
ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهى عنده
ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل
المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة
لا تكون اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم فى
اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا
الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها و
عمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل وادٍ غير ذى زرع
لا تبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم
اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف
فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى وادٍ لا نفع لها وجاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل
الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى
الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اى ثم كان عاقبتهم العقوبة او
الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم
وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها
ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر
كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان

ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى
صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة
لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول
وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على
الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول
الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس
اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام
من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم
من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون
بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعؤا
وعلمؤا بنى اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه
حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اى المؤمنون والكافرون لقوله فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون
يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
فاولئك فى العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار فى معنى
الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها
نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد
ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار
القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشى العين

اذا انقض نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا
معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة
الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه
كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة
والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلوة والسلام من سره ان يكال بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال
حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه
وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج
الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات
بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا يعقب
الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في
اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم
بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت
من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر
وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الانسان الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج
حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف
على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة
عن الولد كقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من

الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل
صنف لغة او الهمه وضعها او اقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد
تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات
الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من
ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس
او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى
النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم
بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين
وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن
آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت
واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو
ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما
للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته

ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في
حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن
الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل
مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم
دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق
ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه
وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل
الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة
ولذلك ناب مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدرتكم والقياس الى اصولكم والا فهما عليه سواء
ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى
ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن
فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما
يساويه او يدانيه في السموات والارض يصف به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز
القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته
ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم مما ملكت
ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون
انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن
الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى
النفي تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك

كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك
اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن
يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة
ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه
وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء
او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم
من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ
من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين
القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم
منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من
الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب
للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت
بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين و
تفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا
دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب
بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان
الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين
اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم
بربهم يشركون فاجاء فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم

اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ
وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا
عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا
ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه
يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا
بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجؤوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به
والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او
لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى و
اولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة
محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم
به من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله
فلا يزكوا عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا
ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي
القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين و
تغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب

به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا
عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان و
العيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال
سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاول والثانية تفيدان شيوع الحكم
في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد
لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق و
اخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر
قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم
اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ
كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام
للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم
عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
مصداق ذلك وتتحقق صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان سوء
عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من
المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق
بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون

يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اى وباله
وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات
من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه
المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات
البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم
الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله
بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله
عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة و
الكسائى الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة
لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها و
العطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار
فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان
الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه
الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله
الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا

كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر
وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من
يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب وان كانوا
من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير له للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم
بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين
فانظر الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك
جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء
على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذى قدر على احياء الارض بعد موتها
لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان
احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان
يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها
في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شئ قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات
سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما
تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على
حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر
بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم
لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا على الله ويلتجؤا اليه
بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب
زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق
مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان

الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير
بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن
المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم
ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل
ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم
الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد
في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضَعف فاقرأني من ضُعف وهما لغتان كالفَقر والفُقر والتنكير مع التكرير لان
المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة وهو
العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة
ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات و
الايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة
او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون
في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في
كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله
ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم

يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء
لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين
بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء
لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه
في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي
في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم
وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل
ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القرآن
ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول و
المؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك يطبع مثل ذلك الطبع يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا
يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغوك
فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا اية وهي الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة

وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع او ثلث وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاجتماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب تحقيقه لا محالة وقرا نافع في اذنيه وذكر البشارة على

تحقيقه

على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما يستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة للتوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه

وانه امر بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما
اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او ان اشكر فان ايتاء
الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة
واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود
ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن لابنه انعم او اشكم او ماتان وهو
يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني باسكان الياء وكذلك يا بني اقم الصلوة
باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي ثقله في الاخير وقرأ
الباقون في الثلثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف
على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن
لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على
وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع
الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في
عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه
دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل
من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها
خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد
ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما
في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع
في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فا

فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق
التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن
ابي وقاص وامه مكثت ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه
فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة
او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله • كما شرقت صدر القناة من
الدم • او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في
اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ
بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها
ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك
ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور
اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله
المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه واعلاه
ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح
وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة النهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده
والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب و

والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة
كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي
اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من
الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة
ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال
وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو
عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته
بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد
كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح
من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولاباءهم الى
عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه
من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن
معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به
وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق
ما يتعلق به عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا
يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض

بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم
بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان
ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل
الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو
الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه
من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء
على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل
يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك
الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير
ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل
تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن
بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر

الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس
الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل
مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في
الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه
الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان
والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على
باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل
وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته
ودلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق و
الانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من
والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق
القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور
للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ
لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود
عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود

المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر
في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجرئكم على المعاصي
ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض
فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه
عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل
المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر
ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم
على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت
تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني
بالهند ففعل الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه
بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة
فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف
ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية
ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها
خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان
رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى
عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى
المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ ولا ريب فيه
فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون
الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل
هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم
رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك
الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب
عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما
ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر
بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد
ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر
افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت
في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان
متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره
في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله
وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي
قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى

قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات
منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة
متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج (على البناء للمفعول) ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد
في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء
خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه
بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن
معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء
على الاول مخصوص منفصل وعلى الثاني متصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين
ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا
ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها
وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر
اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا
وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى
جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون
جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت

الذی وکل بکم بقبض ارواحکم واحصاء آجالکم ثم الی ربکم ترجعون للحساب والجزاء
ولو تری اذ المجرمون ناکسوا رؤسهم عند ربهم من الحیاء والخزی ربنا قائلین ربنا
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منک تصدیق رسلک فارجعنا الی الدنیا نعمل صالحا انا
موقنون اذ لم یبق شک بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقدیره لرایت امرا فظیعا
ویجوز ان یکون للتمنی والمضی فیها وفی اذ لان الثابت فی علم الله بمنزلة الواقع ولا
یقدر لتری مفعول لان المعنی لو تکون منک رؤیة فی هذا الوقت او یقدر ما دل
علیه صلته اذ والخطاب للرسول صلی الله علیه وسلم او لکل احد ولو شئنا لآتینا کل
نفس هداها ما تهتدی به الی الایمان والعمل الصالح بالتوفیق له ولکن حق القول منی ثبت
قضائی وسبق وعیدی وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعین وذلک تصریح
بعدم ایمانهم لعدم المشیة المسبب عن سبق الحکم بانهم من اهل النار ولا یدفعه جعل
ذوق العذاب مسببا عن نسیانهم العاقبة وعدم تفکرهم فیها بقوله فذوقوا بما نسیتم
لقاء یومکم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضیة له انا نسیناکم ترکناکم من
الرحمة او فی العذاب ترک المنسی وفی استینافه وبناء الفعل علی ان واسمها تشدید
فی الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما کنتم تعملون کرر الامر للتاکید ولما نیط به من
التصریح بمفعوله وتعلیله بافعالهم السیئة من التکذیب والمعاصی کما علله بترکهم
تدبر امر العاقبة والتفکر فیها ودلالة علی ان کلا منهما تقتضی ذلک انما یومن بآیاتنا
الذین اذا ذکروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه
عما لا یلیق به کالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدین له شکرا علی ما وفقهم للاسلام وآتاهم
الهدی وهم لا یستکبرون عن الایمان والطاعة کما یفعل من یصر مستکبرا تتجافی
جنوبهم ترتفع وتتنحی عن المضاجع الفرش ومواضع النوم یدعون ربهم داعین
ایاه خوفا من سخطه وطمعا فی رحمته وعن النبی صلی الله علیه وسلم فی تفسیرها قیام

قیام العبد من اللیل وعنه علیه السلام اذا جمع الله الاولین والآخرین جاء مناد
ینادی بصوت یسمع الخلائق کلهم سیعلم اهل الجمع الیوم من اولی بالکرم ثم
یرجع فینادی لیقم الذین کانت تتجافی جنوبهم عن المضاجع فیقومون وهم قلیل
ثم یرجع فینادی لیقم الذین کانوا یحمدون الله فی البأساء والضراء فیقومون
وهم قلیل فیسرحون جمیعا الی الجنة ثم یحاسب سائر الناس وقیل کان ناس من
الصحابة یصلون من المغرب الی العشاء فنزلت فیهم ومما رزقناهم ینفقون فی
وجوه الخیر فلا تعلم نفس ما اخفی لهم لا ملک مقرب ولا نبی مرسل من قرة اعین مما
تقر به عیونهم وعنه علیه السلام یقول الله تعالی اعددت لعبادی الصالحین ما لا
عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر بله ما اطلعتم علیه اقروا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعین وقرا حمزة ویعقوب اخفی علی انه مضارع
اخفیت وقری نخفی واخفی وفاعل الکل هو الله وقرات اعین لاختلاف انواعها
والعلم بمعنی المعرفة وما موصولة او استفهامیة معلق عنها الفعل جزاء بما کانوا
یعملون ای جزوا جزاء او اخفی للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقیل هذا القوم
اخفوا اعمالهم فاخفی الله ثوابهم افمن کان مومنا کمن کان فاسقا خارجا عن
الایمان لا یستوون فی الشرف والمثوبة تاکید وتصریح والجمع للحمل علی المعنی اما
الذین امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوی فانها الماوی الحقیقی
والدنیا منزل مرتحل عنها لا محالة وقیل الماوی جنة من الجنان نزلا سبق فی
آل عمران بما کانوا یعملون بسبب اعمالهم او علی اعمالهم واما الذین فسقوا فماویهم
النار مکان جنة الماوی للمومنین کلما ارادوا ان یخرجوا منها اعیدوا فیها عبارة
عن خلودهم فیها وقیل لهم ذوقوا عذاب النار الذی کنتم به تکذبون اهانة لهم
وزیادة فی غیظهم ولنذیقنهم من العذاب الادنی عذاب الدنیا یرید ما محنوا به

من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم
لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روى ان وليد بن عقبة فاخر عليا
يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم
يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب
السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة • لا يكشف الغماء الا ابن حرة •
يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم
من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه
من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا لقيناك مثل ما لقيناه منه فليس
ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك
موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا
كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له
لما صبروا وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او
عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل
ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون
الماضية او ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون
في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي
قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه

من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون
به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من
قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة
والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون
منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم
من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا
واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو
منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك
وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي
من الاجر كانما احيا ليلة القدر وعنه من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان
التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع
الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روى ان ابا سفيان
وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت
بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض
ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما
بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك
كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني من

الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان
الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله
وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اى ما جمع قلبين
فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق للنفس الانسانى اولا ومنبع
القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائى تظهرون منهن امهاتكم وما
جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة فى امراة ولا الدعوة والبنوة فى
رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان
ولذلك قيل لابى معمر او جميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها
كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها
والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى
جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم
يجعل الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينها وبينه امه وابنه اللذين بينها وبينه ولادة
وقرا ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين
مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء
الثانية فى الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف
وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى
عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى ماخوذ
من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه
كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان

فان ذكره تقارب ذكر الفرج او التغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعى على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى
فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له فى الاعيان
كقول الهازل والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدى السبيل
سبيل الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة و
قوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به
الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق فان لم
تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم
واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم
به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان
او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت
فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا
وعند ابى حنيفة رحمه الله يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن
الحاقه به النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فى الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى
منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان
يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها
روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته
من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه
امهاتهم منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات
ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام

وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر
الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما
انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين و
المهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا
في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر
وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم
نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين والتكرير
لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل
الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم
تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين
الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين
او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان و
يهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا و
جنودا لم تروها الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج
اليهم في ثلثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب

بينهم الا بالترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم و
ماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله
بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصري بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب
والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل
المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا
وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها
الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله
الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز
وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي
وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو
وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر
المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من
شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا
غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم
واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني
ارس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل مدينة وقيل هو اسم ارض وقعت

المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على
انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام
لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب
فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون
ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان تكون تخفيف العورة من
عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان
يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت
المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول
هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب
عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما
يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله
مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى
عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم
يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان
اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى
المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد

يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر
اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا
يقاتلون الا قليلا لقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه لا
يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال
من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران
عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت
خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة
حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير
نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه
اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال
فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق
الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون
ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون
بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات

في الحرب ومقاساة الشدائد او وهو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة
عشرون منّاً حديداً اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو
لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله ولقاءه ونعيم الآخرة او
ايام الله واليوم الآخر خصوصاً وقيل هو كقولك ارجو زيداً وفضله فان اليوم الآخر
داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل
بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيراً وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما
رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله صلى الله عليه وسلم سيشتد الامر
باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم
بعد تسع او عشر وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله
وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار
الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء الا ايماناً بالله وبمواعيده
وتسليماً لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من
الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان
المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد
كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلاً شيئاً من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان

ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى
والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة ان الله كان غفوراً رحيماً
لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيراً
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح
والملائكة وكان الله قوياً على احداث ما يريده عزيزاً غالباً على كل شيء وانزل
الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقاً تقتلون و
تأسرون فريقاً وقرئ بضم السين روي ان جبرئيل اتى رسول الله صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله
يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر
الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمساً وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم
تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من
فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه السلام جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه اما
تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضاً لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديراً
فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة

والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطيكن المتعة واسرحكن سراحا
جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن
الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق
خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة
خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه
من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها
فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه
ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله
ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة
بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة
قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه كونهن
نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله
ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
ومرة على طلبهن رضا النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل
بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما

في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد
بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة
حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل
قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن
قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من
قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به عن
همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل
ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم و
نوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وقيل جاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية
قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن
الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم
الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة
وعلي وابنيهما لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود

اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن و
الحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير
بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من
برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار
فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن
ووعظكن او يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين
والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على
الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات
على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم
وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن
مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع
بهذه الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير
فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري و
عطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في

في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه
الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله
لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت
عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة
من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث
انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ
تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت
عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب و
ذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله
مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه
كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا و
تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها
وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو
للحال وليست المعاتبة على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره
فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها

وطرا حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه
امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر
نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في
خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه
وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا
لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر
من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك
سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان
امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله
صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان
لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين
الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر و
القاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن
رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب
التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على
انه خبر محذوف ولكنّ بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن ابا من غير ولادة اذ لم يعش له
ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له
ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابرهيم حين توفي لو عاش

عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان
المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة
وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات
ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا
اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر
الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها
وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم
بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك
وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم و
الانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة للانعطاف الصوري الذي
هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما
وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت
او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد
لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم و
نجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به
وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه
وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا

منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن بالالف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة لها ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمها او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة

المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ

والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او
احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من
شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع
الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك
حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك
لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس
اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء
منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء
والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في
شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن
ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا
لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب
وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن
والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل
بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرأ
البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد
اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق
واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن

حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من
ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية
محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى
الاول فانها وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا
من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج و
الاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق
بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير
دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال
من فاعل لا تدخلوا والمجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير
من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي
اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز
لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين
لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم
لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم
يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها

الا وقت ان يؤذن لكم

على الطعام وإذا سألتموهن متاعا ينتفع به فسئلوهن المتاع من وراء حجاب ستر
روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه كان عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص
التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه
فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلوة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير
نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم
من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا
شيئا كنكاحهن على ألسنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك
فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت
وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله
ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا
لابنائهما ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء
خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء
شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه و
تعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا

١٧٠

وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل
وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل
يجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف صار شعار الذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان
عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي
او يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو
ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره
بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد
لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي
انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل
في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن
بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها و
تتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين
فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده
حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم
في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا
المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به

الاخبار الكاذب لكونه متنزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم
او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على
ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا
قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما
بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي
سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في
وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا
يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف
ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم
في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله و
اطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع
للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيل بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين مثلي ما آتيتنا
من العذاب
منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو
اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما

مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون
حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل
هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه
غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص
او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها
ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في
ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق
من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح
لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث
انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام
العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها
وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره
من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل
الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن

ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
وخلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى فيها و
نارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا
عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق
عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن
اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة
والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب
عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان
من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد
ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل
من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب فى ضربته تاديبا وذكر التوبة فى الوعد
اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما
حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من
قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس وخمسون
اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال
قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد فى الآخرة لان ما فى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا
من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد
الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق ا

قوله ولعل المراد بالامانة العقل الخ من الامثال [illegible] مما يفهمه العارفون من المشايخ المتصوفة من كلام الله المجيد بلسان الاشارة ولا يجزم بان هذا المعنى مراد الله تعالى ولذا اورده بلفظ لعل
ابن مجيد

الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذى احكم امور الدارين الخبير ببواطن
الاشياء يعلم ما يلج فى الارض كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز
والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء
العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء
والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم
الغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم
الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء
استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربى لتأتينكم عالم
الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه
وتنفى استبعاده على ما مر وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع
وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب
عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقرأ الكسائى لا يعزب بالكسر
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما
بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال
والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه
اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره
على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الا مسطورا فى اللوح
ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا فى آياتنا
بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز

من سيئ العذاب اليم مولم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا
العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل
الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا
مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى
العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم
اوتوا العلم عند مجئ اولوا العلم عند مجئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا
ويهدى الى صراط العزيز الحميد الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال
الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم
يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد انكم تنشأون
خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف
للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم
يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون
مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى
فاعل من جد كحديد من حدّ وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا
قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقنه على لسانه واستدل
بجعله اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة
وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من
الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد رد من الله
عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن
الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له
فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة

للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة للضال ووصف الضلال به على
الاسناد المجازى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان
نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه
مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء
وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء
والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط
عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ
ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان فى
ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه
فانه يكون كثير التأمل فى امره ولقد آتينا داود منا فضلا اى على سائر الانبياء
وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك و
الصوت الحسن يا جبال اوبى معه رجعى معه التسبيح على الذنب او النوحة وذلك
اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيرى
معه حيث سار وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهو
بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة
الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبى وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان اصل النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير
فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه
حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ مشيته فيها والنا
له الحديد جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة

متعلق بيصرفه

اوبعوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان منعسرة او مصدرية سابغات دروعا
واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في
نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا
فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والناله الحديد واعملوا صالحا
الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي
وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمن الريح مسخرة غدوها شهر و
رواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء
من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين
يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن
ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان
وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء
من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها و
يحارب عليها وتماثيل وصورا او تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من
العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد
وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل
داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا
او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي

عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع
ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى
فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسات البعير اذا طردته
لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ
القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن
سأته اي من طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة
وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان
بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد
التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن
لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل
الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان تعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على
ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وابتدأ عمارة

وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة

بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة
وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب
في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة
ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس
كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء
من الامور العجيبة مجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي
داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ
بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن
يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضايقها كأنها جنة
واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق
ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء
بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر
اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب
غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد
واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم
سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه و
صعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم
بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة
التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل
من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وبدلناهم بجنتيهم

بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة
وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب
عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله
ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ
ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بالتخفيف اكل ذلك جزيناهم
بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا
فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى
بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة
على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة
متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في
قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الى الشام سيروا فيها على ارادة القول
بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف
الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم
فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان
يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل و
تزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بعّد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في

الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعّد او بعُدَ على
النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها
فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي
سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل
صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق
يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده
لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى
قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما
ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم النبي
ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من
فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من
سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة
ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز
المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد
من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على
كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم
اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني

والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع
الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما
يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم
اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من
خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم
بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب
القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما
من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما
ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة
عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت
ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك
لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية
لمفهوم الكلام من ان ثمة توقعا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين
حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل
الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء
للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي
الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل
من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب
سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون

به تغلو بهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين
المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في
ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما
تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ
من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول
حسان أتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه
نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع
عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك
لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث
اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم
يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو
الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو
استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن
المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة
وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متأبية عن قبول
العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا
ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا
جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا
من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على

على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر
عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله و
المؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين
ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من
التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا
بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول
صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل
الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين
استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم
ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه الصلوة والسلام قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم
حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم
اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ
تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة
المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين
ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر
الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير

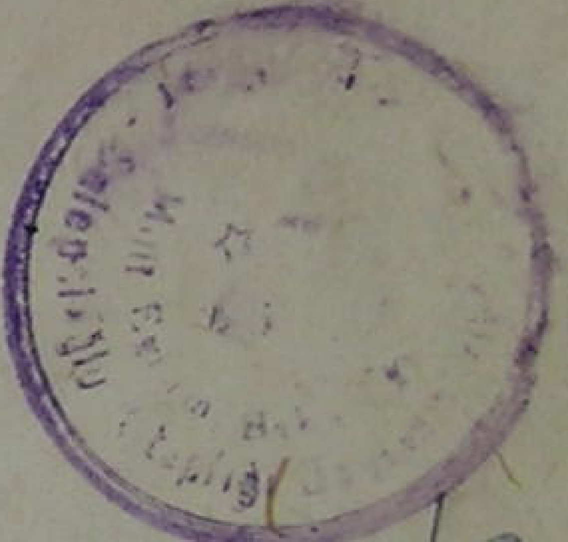
او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته و
جعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل
الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزي اما للتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به
من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة
بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم
والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا
يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان
كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او
لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي تقربكم الا من آمن
وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن
الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم
واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف
الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن
يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم
بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في

الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه
اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط
في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم
نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم
عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا
بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة
بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير
الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين
للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى
الله تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول
باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير

الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم
من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم
هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين
من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك
من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات
والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف
كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني
للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة
ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس
رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط
القول ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل
والبيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون
يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه
فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما
استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من
اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون

واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما
ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه
قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي قل
ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه
او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة
محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت
والباقون بالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي
الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد فزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر
مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال • اقفر من اهله عبيد
فاليوم لا يبدي ولا يعيد • وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده
او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن
الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان
الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه
ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت
امرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر
الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على
فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك
اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش

ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه حيز التكليف وقد
بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد
ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير
حفص بالهمزة على قلب الواو لضمها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني
جار ابي الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون التناول من بعد
وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن او يتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول
من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من
امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل
لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه
وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا
على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل
ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان و
والنجاة به من النار وقرا ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم
من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في
الريبة او ذا ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك
للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم
القيامة رفيقا ومصافحا





بر قریه اهالیسی اوزرلرینه تحصیص ایدن ایچون نازل اولان

تکالیفدن قریه مزبوره ده ساکن اولوب پیر فانی

کسبه قادر اولمیان زید دخی حصه طلب ایدوب المغه قادر

قریه مزبوره اهالیسی کلمه

نادر